علي الزيدي

مفاهيم عصريّة
عن
فاطمة الزهراء عليها السلام

دار الكاتب العربي

مفاهيم عصرية

عن

فاطمة الزهراء عليها السلام

علي الزيدي

دار الكاتب العربي

اسم الكتاب: مفاهيم عصرية عن فاطمة الزهراء عليها السلام
اسم المؤلف: علي الزيدي
اسم الناشر. دار الكاتب العربي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٧٠) لسنة (٢٠١٨)

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

يمكنكم التواصل مع المؤلف على الإيميل
alzaidi313@yahoo.com

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف، ٠٣/٢٥٧٩٨٤ ـ فاكس، ٠١/٥٥٣٤٥٦ ـ ص.ب، ٢٥/٣٥٥ ـ غبيري ـ بيروت

الإهداء

إلى من تنحبس لمطلعها أنفاس الأكوان ..

وتغض الأبصار خاشعة من نورها المحجوب بالأستار ..

إليكِ سيدتي ولازلت معتذراً ..

لأن العدم لا يخاطب الوجود .

* ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران ٦١.

* ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣.

* ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الرحمن ١٩-٢٢.

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

يخطئ من يظن أن فاطمة الزهراء عليها السلام لم تشارك الأئمة المعصومين في صيانة خط الإمامة، والحفاظ عليه من الأعداء والمتطفلين، ومن ثم رسم أسسه العامة التي تناسب مراحل الإنتقال والتغيير، التي تحدثها عوامل التاريخ وما تولده من تحرك في البنى السياسية والإجتماعية والفكرية.

وكذلك مخطئ من يظن أن لا وجود لدور فاطمة الزهراء في صيانة المرأة من العوامل الخارجية التي تريد الإضرار بها، ومن ثم بيان دورها في الأسرة وحركة المجتمع، ومدّها بالبعد الإيجابي الذي يساهم في التوازن العقلي والروحي والنفسي والوجداني للمرأة، وهي تسير جنباً الى جنب مع الرجل لتشاركه في هذا الوجود الدنيوي. ولذلك حصدت سلام الله عليها الأسماء والألقاب الكثيرة في وجودها المفتوح من قبل هذه الدنيا وفيها وما بعدها.

كنى وأسماء منها ما قُلِبت فيها المفاهيم، فأوجدت من المتضايفين ألفاظاً ومعاني أخرى، تَحوَّل فيها الأب الى إبن لإبنته، في حركة لها مقاصد ومداليل تنبؤك عن أمر عظيم، كلّما نظرت إليه، أو أعدت الكرّة يرجع إليك البصر وهو حسير، ثم يعطيك لقباً يتمحور حوله مرجع النساء، لتكون سيدة لهم بلا منازع بعمر لا يتجاوز الثامنة عشر، لتصوغ للنساء قيمة قد غسلت كل أوساخ التأريخ في نظرته الدونية للمرأة.

فها هو الرسول الأعظم يهب روحه وقلبه للزهراء، ثم يجعلها بضعة منه يرضيه ما يرضيها، ويغضبه ما يغضبها ثم يمنحها لقب سيدة نساء العالمين. وهو بذلك قد حافظ على كيان مقدس ومقصد عالي من مقاصد هذا الوجود اسمه المرأة، فقد شاركت سيدتهن الرسول صلى الله عليه وآله بروحه وقلبه، لتسموا بوجود المرأة الى العلى بلا توقف، حيث الكمالات والعطاءات الممنوحة للنساء إذا ما تم استغلال وجودهن استغلالاً صحيحاً في سعيهن الطويل مع الرجال، حيث المسير بلا توقف، فهناك تنتظر الإثنين واجبات عليهما أن يسبحا في بحر الطاعة كمقدمة ليغوصا في أعماق بحر العطاء، وإستخراج اللآلئ والدرر التي تعطي لجمال الروح بهاءً ورونقاً يسر الناظرين.

ثم يا للعجب! من لها مثل هذه الكنى والألقاب وتغادر هذا الوجود بتلك المقدمات المؤلمة، ثم تدفن ليلاً بعيدة عنها عيون المسلمين وعيون اللاهثين

وراء الخلافة، لكي يخفى ويعفى قبرها، كأنّها قد رحلت بلا دفن ولا قبر يواري جسدها الطاهر بضلعها المكسور بيد السلطان الجائر. وكأنّها قد صُعّدت الى السماء بكل جراحاتها وأنينها وحزنها، لتفارق هذه الدنيا بلا شاخص يدل على أن في داخله امرأة قد اختزلت كل النساء فصاغت لهن مشاعل الحياة ليعشن بنور لا ظلام فيه، وبقيمة لا يستهان بها.

ثم أنظر الى امرأة عظيمة، كيف حولت حزنها على رحيل أبيها صلى الله عليه وآله الى ثورة ضد الطغيان والظلم، وهي تفضح القوم في كل مكان يكون فيه سامع لكلامها سلام الله عليها، فأرعبت قلوب الفاسدين وأذهلتهم، فلم يعرفوا ماذا يفعلون، قبال هذا المدّ الهادر بالحجج والأدلّة التي دفعت بها باطلهم دفعاً.

فجاء هذا الكتاب الذي قد أُلّف من أجل أن تكون هناك قراءة حداثوية وموضوعية في نظرة عصرية، لألقاب وحالات إختصت بها الزهراء عليها السلام وهي:

أولاً: لماذا خفي قبر فاطمة الزهراء؟

ثانياً: لماذا سميت سيدة نساء العالمين؟

ثالثاً: ما هي الفوائد المتوخاة من كنية أم أبيها؟

رابعاً: بكاء الزهراء صراخ وعويل أم دموع وبيان؟

هذه القراءة نريد أن نبتعد فيها عن الفهم الكلاسيكي لكل واحدة من هذه المفردات المختارة.

وسننتقل بالقارئ الكريم الى عدّة محطات، ستزيد – إن شاء الله – في فتح مجال للذهن بمساحة أكبر للفكر والتحليل، عسى أن تنفتح بذلك أبواب جديدة لقراءة المواقف التي مرت بها فاطمة الزهراء عليها السلام وما أرادت إيصاله منها، مضافاً أن القارئ سيجد بحثاً جديداً حول النساء وعلاقتهن بالرجال. وهل العلاقة فيما بينهما على نحو التساوي أم التشابه، وسيكون هناك بحثاً شيقاً في هذا المجال عساه أن يكون في يوم ما مباني لنظرية جديدة في هذا الإتجاه.

فأسأل الله تعالى أن أكون قد ساهمت ولو بقدر أنملة في رفع شبهة، أو توضيح أمر مبهم، أو إجابة عن تساؤل.

فإن وفقت في ذلك، فللّه الحمد، فكلّه من الباري عزّ وجلّ، وإن اخفقت فذلك لقصوري وتقصيري، وعذري أني حاولت أن أبين عظمة الزهراء عليها السلام، من خلال طرح المفاهيم المناسبة لبعض ألقابها وكناها، وكذلك أردت أن أرفع شبهة، تطرح في المؤلفات وعلى المنابر، على أساس إثبات مظلومية

لفاطمة، من دون أن يلتفت الى أنها قد تسيء الى مقامها سلام الله عليها، وتقلل من المقصد العالي لحركة المعصومين عليهم السلام.

هـذا وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين وصـلى الله عـلى محمـد وآلـه الطيبين الطاهرين.

علي الزيدي

٢٣رمضان ١٤٣٩هـ

٧حزيران ٢٠١٨م

لماذا خفي قبر
فاطمة الزهراء عليها السلام

- ❖ الاطروحتان اللتان بيّنهما السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره حول خفاء القبر.
- ❖ تعليقات وتوضيحات حول هاتين الأطروحتين.
- ❖ أسباب أخرى حول خفاء القبر الشريف.
- ❖ ما علاقة خفاء قبر الزهراء عليها السلام بغيبة الإمام المهدي عج؟.

تساؤل ليس منه مهرب أو عدول، فتلك القلوب التي أحبت فاطمة الزهراء تريد أن ترى أو تمسك عطاءً من ذلك الوجود، أو نفحة من عطرها تذكرهم بأثر الرسول صلى الله عليه وآله. لكن هيهات من ذلك، فللعل آثار تتحدى الآخرين، بأن يأتوا بخلافها أو تأخيرها.

فأمر خفاء قبرها عليها السلام لا يمكن أن نمرّ عليه وكأنّه أمر عفوي وغير ذي بال، بل هو من الأمور المهمة التي علينا الوقوف عندها والتأمل الطويل في الأسباب التي أدت الى ذلك، وتسبب في حرمان المسلمين من بركة ذلك القبر الطاهر، فيكون حينئذ من المتعين على الفرد المؤمن التقصي والبحث الجاد عن العلل والغايات التي أولدت فاجعة كبيرة بغياب قبر يمثل رمزاً يمكن للأمّة الإسلامية أن تعيش معه قصة جهاد من نوع خاص وفريد في نوعه، كانت بطلته والخاطّة لأحرفه هي سيدة العوالم، بحيث أدت فيه أروع مواقف الإيمان في علوّه وشموخه، وهي تتقلب ببساتينه التي غرستها يد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، حتى كاد جميع ما في هذا الوجود أن ينصعق، وتزهق روحه، على ما رأى وسمع من أدوار جهادية أدتها تلك الصدّيقة الطاهرة، وهي تواجه مؤامرة حيكت لوأد الرسالة، وقتل الرجل الذي يحمل روحها ومعناها، حتى انقطعت كل الحبال للوصول إليها، أو الدنو منها. وكيف للآخرين الوصول إليها وهي مذخورة فقط لفاطمة. ولو فرض

للآخرين أن تكتب لهم أدواراً إيمانية وجهادية ليؤدوها، فإنها ستكون بالتأكيد أدواراً من نوع آخر، بل من سنخ آخر، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلّا وسعها، فمن له وسع فاطمة، وعظم القابل فيها، فروحها روح محمد، وقلبها قلب محمد، ونفسها هي نفس محمد صلى الله عليه وآله لتكون بعدها بضعته التي بين جنبيه، وهي بعد أسرع من إلتحق بالرسول في علیائه، لتكتمل تلك الوحدة ويبتهج ذلك الإتحاد بين رسول الإنسانية وقائدها، وبين من شابهته في قيامها وقعودها ومشيتها. حتى إذا أقبلت إليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[1].

---

(١) جاء في الفصول المهمة لإبن الصباغ المالكي ص٦٦٥ طبعة دار الحديث: (من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

وروي الشيخ الصدوق رحمه الله عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله (ص): وأما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روح التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي، أنظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من

والآن سنقدم بعض من الأسباب والعلل عساها أن تصلح لتكون رداً لهذا التساؤل، أو نقاط تأمل، يقف عندها الفرد ليحرك فكره، ويدعه يجول في مساحات من أروقة الأحداث وزوايا التأريخ علّه يجد ما يأنس به ليكون مرهماً يعالج به حزنه الطويل على ضياع ذلك الأثر الفاطمي.

خيفتي، وقد أقبلت على عبادتي أشهدكم إني قد آمنت شيعتها من النار. الأمالي: ص١٧٥ دار مؤسسة البعثة.

وجاء في كتاب فرائد السمطين ج٢، ص٦٦: (فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي).

وعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها...) فضائل الخمسة ج٣، ص١٥٢ نقلاً عن صحيح الترمذي ج٢ص٣١٩.

وعن عائشة أيضاً قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحباً بأبنتي فاطمة فأجلسها في يمينه أو شماله ...) المصدر السابق ج٣ ص١٥٤ نقلاً عن صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل فاطمة.

الاطروحتان اللتان بيّنهما السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره حول خفاء القبر

وقبل البدء بذكر الأسباب أرى من المناسب جداً عرض ما قاله السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره كأطروحتين في سبب خفاء قبر الزهراء عليها السلام، ومن ثم التعرض الى بيان الأسباب الأخرى لعلها تفي بالمقام.

يعطي السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره اطروحتين في سبب خفاء قبر الزهراء عليها السلام:

(الأولى:

إن زيارة قبرها سبب لدخول الجنّة على كل حال، ويمكن أن يكون ذلك خصوصية لها، أو خصوصية بها دون أبيها وزوجها، (لها فقط) بالرغم من أنهم كانوا من نور واحد، إلّا أن العطاء الإلهي الظاهر والباطن قد يختلف في الأشخاص بكل تأكيد، وكل واحد من المعصومين له مزية، فالزهراء سلام الله عليها لها عدّة مزايا منها هذا المعنى، وقد عرفنا أنّ الله يحول دون ذلك، كما أن أهل البيت سلام الله عليهم يحولون دونه حسب استطاعتهم، بل هم مكلفون بالتسبب الى منع ذلك ممن لا يستحق. أي

زيارة قبر فاطمة سلام الله عليها.

ومن الواضح أنّ الأجيال كلها لا تستحق هذه النعمة الخاصّة، وإنّما ينبغي لكل منّا، ولكل من المؤمنين، والمنافقين، أن يأخذوا حسابهم وجزاءهم الكامل، لا أن تتعين لهم الجنّة بدون حساب.

ومن هنا اخفى عليه افضل الصلاة والسلام أمير المؤمنين قبرها الشريف، حسب هذه الأطروحة، ودافع أمير المؤمنين عن ذلك دفاع المستميت، حسب ما تروي الروايات، وبقي الخفاء مستمراً الى الآن، وسيستمر الى أن يقضي الله ما هو قاض.

الثانية:

إقتران خفاء قبرها بإنسحاب الحكم الإلهي الحق عن المجتمع، أو قل بإنسحاب حكم المعصومين عليهم السلام عن المجتمع، وتمكنهم من التصرف فيه، فكان إخفاء قبر المعصومة الزهراء سلام الله عليها عقوبة للمجتمع في منعه لحكم المعصومين سلام الله عليهم، أو الإعانة على منعه الذي هو معنى منعه لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسوف يبقى هذا الخفاء مستمراً مادام حكم الله في الأرض منسحباً ومتقلصاً، بما فيها هذا الجيل وأي جيل، وإنّما يتحقق الحكم الإلهي

الكامل بظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف، وسيطرته على الكرة الأرضية، فيملأها قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً)[1].

تعليقات وتوضيحات حول هاتين الأطروحتين:

ولنا على هاتين الأطروحتين للسيد الشهيد قدس سره عدّة تعليقات وتوضيحات من المهم الإشارة إليها:

سيكون حسب الأطروحة الأولى، أن المصداق الأكمل بالنسبة للأشخاص الذين لن يكونوا موفقين لنيل شرف دخول الجنّة بسبب زيارة قبر الزهراء، هم الذين ظلموها بالمباشر وتسببوا في استشهادها سلام الله عليها، ويشمل هذا الأمر الذين سكتوا على هذا الفعل، والذين رضوا به بكل تأكيد، ويكون أمرهم، أمّا أنّهم قد سمعوا هذا الأمر فعلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله – أي أن من يزور قبر الزهراء يدخل الجنّة لا محال – أو أنّهم لم يسمعوا بهذا ، وعلى هذا الأساس فإنّهم حسب الأمر الأول سيكون لهم موقفان تجاهه:

---

(١) خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة، لآية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر النجف الأشرف، نشر دار مكتبة البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ : ص٣١٣ وما بعدها.

الأول:

أنّهم سيسعون جاهدين لنيل هذا الشرف العظيم، أو قل هذا العطاء الذي لا يعادله أي عطاء آخر، كونهم سيضمنون دخول الجنة بلا حساب. ولكن هنا سنواجه إشكالين هما:

١ - إن هذا الشعور دائماً ما يلازم المؤمنين، الذين يتابعون وينظرون الى المعاني النورانية العليا، المتمثلة بشخص المعصوم أو من هو قريب منهم[1]، ويرجون نيل ما يجودون به من عطايا وما يستتبع محبتهم من هبات إلهية ومنح خاصة، وهذا الشعور لم يكن موجوداً لدى القوم، لأنّه لو كان موجوداً لما أقدموا على تلك الأفعال المشينة بحق فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢ - لو كان هذا الأمر معروفاً لحاججتهم الزهراء عليها السلام به، ولذكّرتهم بأن من مميزاتها، من يزور قبرها سوف يدخل الجنّة، فلماذا تسعون الى سلب حقي والهجوم على داري؟.

الثاني:

أنّهم سيفعلون المستحيل من أجل ضمان معرفة مكان دفن الزهراء عليها

---

(١) لا يقصد من القرب القرب المكاني، وإنّما القرب المعنوي في الملكات والطبائع.

السلام، كونه مشار إليه بتلك الميزة التي لم يسمعوا بمثلها تجاه أية شخصية إسلامية أخرى، فضلاً عن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله نفسه. فكيف والحال هذه سمحوا لأمير المؤمنين عليه السلام أن يختص بمعرفة قبر الزهراء عليها السلام دونهم.

والإجابة عن هذين الإشكالين يمكن أن تكون كالآتي:

أما بالنسبة للأمر الأول، فلم تكن الدلائل والحوادث التاريخية التي جرت في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وما بعد شهادته، دالّة على أنّ القوم كانوا في مرتبة عالية من الإيمان والتكامل والإخلاص للرسول وآله، بل غالباً ما نقلت لنا المصادر أذيتهم للرسول وآله في أكثر من موقف وحادثة لا يسمح لنا المقام بذكرها.

وعلى هذا فإن مثل هذه الأمور لم تكن لتعينهم بشيء. ولكننا لا نضمن بأنّه قد يكون لهم زيارة قبر الزهراء كخط رجعة، يتمكنوا من خلاله إقناع المسلمين بأنهم على صلّة بصاحبة القبر، أو على أقل التقادير يعملون بالإحتياط، فيكون لسان حالهم إذا كنّا قد أقدمنا على أذيتها لمصالح وغايات خاصة، فنحن لن نخسر شيئاً إذا ما تمّ زيارتها في قبرها، عسى أن يمحى عنّا ما فعلناه وندخل الجنّة.

وعلى كل حال فإن النفس الإنسانية على مختلف طبائعها وسجاياها تميل الى أي احتمال للنجاة يطرح أمامها، حتى وإن كان يسبح ويدور في عالم الغيب. ولذلك سعى أمير المؤمنين لخفاء القبر لإنهاء هذا التصرف المحتمل من القوم.

وأما بالنسبة للأمر الثاني: فإن الزهراء عليها السلام عالية، ومن ذوي المقامات التي لا يمكن الوصول إليها أو الدنو منها. وهي عندما تنطق كأنها تنطق عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي من وصفها الرسول بأنّها قلبه وروحه التي بين جنبيه وبضعته المقدسة، التي مثلت العبودية المطلقة لله تعالى، فالحجج التي أدلت بها للقوم، وخصوصاً عندما خطبت في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقد كانت خطبتها من أبلغ الحجج وأشدّها وقعاً في المفهوم والمنظور الإسلامي العام، لأنها كانت تريد أن ترتقي بهم بحجج عقلية وروحية، تمثل لمن يلتزم بها التكامل المرجو من المسلم، لأنّها كانت حجج تربوية مكثفة، تلاءم ذلك الجو الإسلامي الحرج، والذي كان يمر بحالة من حالات الإضطراب والإنقلاب على الأسس والثوابت التي خطّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وهي سلام الله عليها لم تلجأ الى إستخدام مثل هذه الحجة[1] التي لم يوجد

---

(١) أي تحتج أمام الأنصار والمهاجرين بحجة من زار قبرها بعد وفاتها دخل الجنة.

فيها أي نشاط فكري وعقلي، أو أية حركة للنفس تعينها في الخروج من أسر الشهوات الى حرية الطاعة والتعرض لمعطياتها.

فأنظر الى كلامها سلام الله عليها عندما تخاطب الأنصار والمهاجرين بذلك الخطاب المقدس، ووقعه على تلك القلوب الخاوية والعقول السارحة بوعود القوم، والذي ينم على دراية مسبقة واحاطة كاملة بالوضع الإجتماعي والسياسي الذي دارت به تلك القطعة من التأريخ، فهي تقول:

(...**فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق والصيام تثبيتاً للإخلاص والحج تشييداً للدين والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً من الفرقة...**) فأنظر الى كلامها سلام الله عليها كيف يحرك المسلمين نحو الله، والمعرفة الحقّة بإتيان أوامره وطاعة أئمة الهدى التي بها تنتظم أمور أهل الملّة، وإلّا تشتت القلوب بالأهواء المختلفة نحو أئمة الضلال الذين يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون، فيتيهون في أودية الحيرة والجهالة، بخلاف إمامة أئمة الهدى فإنّه أمان للناس من الفرقة. ثم قالت عليها السلام: (...**أيها الناس أنا فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقولها حقاً عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي**

دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه، فبلّغ الرسالة ، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن درجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام ، حتى إنهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرى عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق. وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص[1] وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الطّرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بمحمد صلى الله عليه وآله، بعد اللّتيا والّتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾، أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من

---

(١) هم أهل البيت عليهم السلام ووصفهم بالبيض الخماص لبياض وجوههم أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغر، وبالخماص كون بطونهم عفيفة عن الحرام ولكونهم ضامري البطون بالصوم وقلّة الأكل.

العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وأسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين ...).

ثم قالت سلام الله عليها: (... **وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن احسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون أفلا تعلمون، بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته، أيها المسلمون أأغلب على ارثيه ؟ يا أبن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرثُ أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، وقال فيما أقتص من خبر يحيى بن زكريا (عليهما السام) اذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم بآية أخرج أبي صلى الله عليه وآله منها؟ أم هل تقولون إنّا أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن**

وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون ... الى آخر خطبتها الشريفة[1].

إذن فهي سلام الله عليها بعد هذه الحجج وهذا الكلام الإلهي، من غير الممكن أن تتنزل من هذا الرقي المعرفي في إدلاء الحجج، لتذكرهم بأمر أن من زارها في قبرها سوف يدخل الجنّة، ولذلك هي سلام الله عليها قد طوت كشحاً عن مثل هذا الكلام في ذلك الموقف، وتمسكت بإدلاء الحجج التي سيبقى أثرها ووقعها في مسير التأريخ الطويل، لتتناقله الأجيال ليكون البوصلة التي تدلّهم على الإتجاه الصحيح.

أمّا بالنسبة للموقف الثاني، كونهم سيفعلون المستحيل من أجل معرفة قبر الزهراء عليها السلام، فهذا لن يتم بحسب أهواءهم وما تشتهي أنفسهم للأسباب الآتية:

الأول: إنّ أمر تجهيز ودفن الزهراء متعلق بالإمام علي عليه السلام، مضافاً الى ما أوصت به علياً عليه السلام إذ جاء بالرواية أنها قالت: **يا عليّ، أنا**

---

(١) الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، نشر مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ط١، بدون سنة طبع.

فاطمة بنت محمد، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل، وصلِّ عليَّ وادفني بالليل، ولا تُعلم أحداً ...)[1].

إذن والحال هذه، لن يستطيع أي أحد فرض رأيه عليه، أو إملاء ما يريد حسب ما يخطط له. وقد حاولوا فعلاً وكما نقلته بعض المصادر التأريخية، من أنهم أرادوا حفر عدّة قبور من أجل التعرف على قبر الزهراء عليها السلام فقد جاء بالأثر: بعد أن تولى أمير المؤمنين غسلها وتكفينها وأخراجها ومعه الحسن والحسين عليهما السلام في الليل، وصلّوا عليها، ولم يعلم بها أحد، ودفنها بالبقيع، وجدد أربعين قبراً، فاستشكل على الناس قبرها، فأصبح الناس ولام بعضهم بعضاً، وقالوا:

إن نبينا صلى الله عليه وآله خلّف بنتاً ولم نحضر وفاتها والصلاة عليها ودفنها، ولا نعرف قبرها فنزورها، فقال من تولى الأمر: هاتوا من نساء المسلمين من تنبش هذه القبور، حتى نجد فاطمة عليها السلام فنصلّي عليها ونزور قبرها.

---

(١) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، للمحدث الكبير الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عج، قم: ط٣، ١٤١٦هـ: ج٢ ص١٠٩٢.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً، قد أحمرّت عيناه، وقد تقلّد سيفه ذا الفقار حتى بلغ البقيع، وقد اجتمعوا فيه، فقال عليه السلام: لو نبشتم قبراً من هذه القبور لوضعت السيف فيكم، فتولى القوم عن البقيع[1]. بعد أن تيقنوا إصراره على قتالهم إن حاولوا الإقدام على هذا الأمر.

الثاني: إنّ الإمام علي عليه السلام قد استخدم معهم اسلوب التمويه والتورية، بحيث أظهر لهم شيئاً خلاف ما كان قد خطط له أو قرر فعله، وخصوصاً أن الظرف كان يساعد القوم على تصديق أبا ذر فيما قال من أنّ تشييع ودفن الزهراء سوف يؤخر عن هذه العشية.

فقد جاء بالرواية: إجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون أن تخرج الجنازة، حتى يصلّوا عليها، فخرج أبو ذر وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخرّ اخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا.

فلما جن الليل غسلها أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس[2].

---

(١) المصدر السابق: ج٢ ص١١١٥ نقلاً عن البحار ج٤٣ ص٢١٢، والإحقاق ج١٩ ص١٧٠، والمستدرك ج٢ ص١٨٧.

(٢) الزهراء فاطمة بنت محمد، تأليف عبد الله منصور القطيفي، نشر دار الأنصار، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م : ص٣٨٢.

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام قاصداً اختيار أبا ذر رضوان الله تعالى عليه في اخبار القوم، كونه المعروف بصدق اللهجة وعدم الكذب، وما كانت أية شخصية تؤدي هذا الدور الذي أدّاه في اقناعهم بالذهاب، حيث جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: (**ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدقُ، ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى بن مريم**)[1].

الثالث: لم يكن قبر الزهراء عليها السلام ليشكّل عليهم ضرراً إعلامياً واجتماعياً في حال عدم معرفتهم بمكانه، كما لو كان يشكل لهم أمر المشاركة في تجهيز ودفن النبي صلى الله عليه وآله من ضيق واحراجات وعدّة تساؤلات في حال غياب هذا الأمر عنهم، على اعتبار أنّه يمثل المركز والقطب الذي يدور حوله المسلمون أولاً، وثانياً أنّهم كانوا يوهمون المسلمين على أنّهم من المقربين للرسول. فمن غير الممكن أن يتنازلوا عن هذا الأمر، حتى لو كلّفهم قتل أهل بيت النبي بأجمعهم، وذلك على اعتبار أن النبي صلى الله عليه وآله ليس من مختصاتهم وحكراً لهم، وإنّما هو لكل المسلمين بلا استثناء، فمن حق الجميع المشاركة في تشيعه ودفنه صلوات الله وسلامه عليه.

ولذلك قلّت عزيمتهم في المشاركة في تشييع الزهراء، والمساهمة في دفنها

---

(١) أبو ذر الغفاري، الشيخ محمد جواد آل الفقيه، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ص١٦٣.

سلام الله عليها.

فلهذه الأسباب يمكن للموقفين أن يرتفعا، ولم يبق لهما في عالم الإمكان أي إثبات وثبوت.

على كل حال قد يثار هنا تساؤل، وهو إذا كان قبر الزهراء عليها السلام يؤدي بالذي يزوره دخول الجنّة، فسيكون هنا تحفيز للمسلمين على نيل هذا الشرف، والتحرك المضني نحوه، ولكن لم يعهد لنا أن سمعنا بأن أحداً قد زار قبر الزهراء، كون معرفته قد حجبت عن المسلمين، بل الناس أجمعين، وفي هذه الحالة أصبح هذا الأمر فوق قدرة وتحمل المسلمين، فعليهم تركه وعدم السعي لنيله. بينما نجد بين أيدينا عدّة أحاديث وروايات عن أعمال وأوراد يؤدي الإتيان بها وامتثالها الى غفران الذنوب ودخول الجنان وزيادة الرزق وإطالة العمر وهكذا، وقد أتى بها كثير من المسلمين، وأدّوها على أكمل وجه، وذلك لأنها تقع ضمن حدود امكاناتهم وطاقاتهم، وعندها سعى كثير من المسلمين لأدائها بحيث كانت سبباً في إصلاحهم وهدايتهم، وتحولهم من حال الى حال، فلماذا هذا التباين والإختلاف في تحصيل الهبات والعطايا.

ويمكن أن يجاب عن هذا التساؤل بعدّة أجوبة منها:

أولاً:

إنّ شرط قبول التوبة ودخول الجنة أو زيادة الرزق وغيرها، مرتبط بالإلتزام والمواظبة على الأعمال والأوراد التي تنتج مثل هذه النتائج، ما دامت حياة الفرد مستمرة في هذه الدنيا، وهذا سيشكل بدوره عنصر عناء وغير مرغوب فيه بالنسبة للأفراد السيئين وأصحاب التمسك بالكبائر، ولذلك لن يوفق لتلك العطايا والمنح إلّا لمن له قدرة المطاولة والصبر واستمرار الإخلاص في الأداء والسعي، وهذا يكون من باب سعة الرحمة الإلهية التي يبيّنها المعصومون سلام الله عليهم لكل من تمسك بولايتهم ومحبتهم واهتدى لطريقهم والإخلاص لهم.

وهذا بعكس ما ورد عن زيارة الزهراء عليها السلام، فإن من يؤديها ولو لمرّة واحدة، فإنه سيدخل الجنّة، وهذا بالطبع لا يحتاج الى كثير من الجهد، أو إجبار النفس لمدة طويلة على عمل ليس من سنخ طبائعها وعاداتها، فمن الممكن لأي شخص غير مستحق واقعاً لدخول الجنّة، أن يستغل خاصية الظفر بزيارة قبر فاطمة الزهراء عليها السلام في أية لحظة من وجوده ولو على سبيل الفضول ولمرة واحدة فقط.

ثانياً:

إن الرسـول والأئمـة صـلوات الله وسـلامه علـيهم أجمعـين يتكلمـون في الغالب من باب الرحمة الإلهية العامة وسعة شمولها، بحيث ينال العطاء كل مـن يمتلـك مقومـات إيمانيـة بمسـتوى معتـد بـه، ولا يحتـاج أدائهـا إلّا لمـن يمتلـك المؤهلات الإيمانيـة والعقليـة العاليـة، وعنـدها سـتكون النتيجـة، أن الكثـير مـن المؤمنين سـيوفقون لتأدية الأعمال والأوراد المؤدية الى تلك النتـائج سـواء طمعـاً أو رغبة، أو زيادة في الطاعة والإمتثال.

أمـا مسـألة زيـارة قـبر الزهـراء عليهـا السـلام، فهـذه مـن الرحمـات الإلهيـة الخاصة، التي لن ينال ويلقّى حظّهـا العظـيم، إلّا الأوحـدي الـذي ضـمن الجنّـة بأعماله وتوظيف قدراته الموهوبة في تأدية طاعة المعبود على أكمـل وجـه. وعليـه سـيكون توفيقه لزيارة قبر الزهراء عليها السلام هو لضمان زيادة درجات علّـوه في الجنان، وحينئذ يكون معنى من زار قبر الزهراء سوف يدخل الجنّة، هو لـيس الجنّة الإعتيادية، التي أعدت لعامة الناس، وإنّما نوع خـاص مـن الجنـان التـي لا تدرك إلّا للخواص الكمّل من العباد.

إذن يمكن لنا أن نضع أطروحة أو فهماً جديداً لهذا الأمر وهو:

إن حاجبية معرفة مكان قبر الـزهراء لا تشمل جميع البشـر، وإنّما قـد يكـون

هناك بعض المؤمنين من ذوي الإيمان العالي غير محجوب عنهم هذا الأمر، وإنّما هم يعرفونه وقد يوفقون لزيارة القبر، ولكنهم من ذوي الأسرار، ولم ولن يبوحوا به لأي أحد. وعلى هذا الأساس يؤذن لهم بالمعرفة بعد أن فتحت أبواب البصيرة عندهم لتأدية مراسيم الزيارة، وستبقى المانعية سارية المفعول على غيرهم من البشر الى يوم لا يعلمه إلّا الله تعالى.

أسباب أخرى حول خفاء القبر الشريف

والآن بعد أن عرضنا الأطروحتين اللتين ذكرهما السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره يمكن لنا أن نذكر أسباباً أخرى قد تكون لها علاقة في خفاء قبر الزهراء عليها السلام وهي:

السبب الأول:

من الأمور الرئيسية التي على الفرد الوقوف عندها، هي مسألة إقصاء أهل البيت عن حقهم الإلهي في قيادة الأمّة، وعلى رأس هؤلاء المظلومين هو أمير المؤمنين عليه السلام، ولو لم تكن فاطمة عليها السلام جزء من حركة الرفض لواقع الإنحراف الذي سرى في المنظومة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، لما تعرضت له من تشابك وتلاقح الفتن والمحن من قبل تحزب جماعة السقيفة. الذين كانوا ملتفتين الى أن هناك وجوداً يمتلك الكثير من أوجه الشبه من الرسول صلى الله عليه وآله في تحركه لرفض الباطل ومواجهته، ولن يتركهم يمارسوا ما يريدون بحرية، من دون أن يكون له الأثر الفاعل الذي قد يشكل صدمة تبعدهم عن كرسي السلطة، الذي سيستولى عليه بإسم الدين، تماماً كما نعيش نحن الآن الحدث في العراق بعد سقوط صدام اللعين.

كيف لا يحدث هذا الأمر الذي أعدّوا له، وهم قد تناهى الى سمعهم قيمة

وطاعة وقابليات فاطمة من فم الرسول صلى الله عليه وآله مباشـرة، فهـي تلـك المـرأة التـي قيـل بحقهـا: (فاطمـة بضـعة منـي[1]...) أو لـيس هـي التـي يغضـب لغضبها الله ويرضـى لرضاها[2].

إذن ما دامت هي بضعة الرسول، سوف تغضـب إذا وجـد باطـل، وسـوف ترضـى إذا مـا كـان هنـاك صـوتاً مطالبـاً بـالحق. فهـم أعـدّوا العـدّة لمثـل هـذه المواجهة، وما أتعس حظ الفرد حينما يعلم أنّه يواجه الحق بحيل ومكـر يمحـى معها إيمان الفرد، ليتحول بالتالي الى هيكل مـن الشـيطنة، يحـرق بلهيبـه أغصـان وثمار الخير، التـي أنبتتهـا الأرض التـي إرتـوت بمـاء الرسـالة وهتـاف الإسـلام. فتحركوا واستبقوا الشـر بالأفعال التالية:

١ - الهجوم على دار الزهراء عليها السلام ومحاولة حرقـه، وهـم أرادوا بعملهـم هذا كسـر هيبة وعظمة فاطمة ومنزلتها التـي حباهـا الله تعـالى بهـا، وأرسـى قواعدها الرسول صلى الله عليـه وآلـه. ولـو بقيـت مـن دون هـذا الفعـل لمـا أمكنهم بعد ذلك مواجهتها والوقوف أمام مدّها الإصلاحي في أمّـة أبيهـا. فكانت مـن أهـم الخطـوات التي هـوّنت لهم من المواجهة، علماً أنّهم بفعلهم

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضـى الحسيني الفـيروز آبـادي، تحقيـق المجمع العلمي لأهل البيت، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ: ج٣ ص١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ج٣ ص١٨٦.

هذا قد فتحوا مغاليق قلوب المنافقين، ومن دخلوا الإسلام لأغراضهم الشخصية، لتشجيعهم على إقتحام ما كانوا يهابونه في السابق، إحتياطاً أو رهبة أو السكوت من أجل أن تصيبهم منفعة الإلتزام الظاهري بالطاعة، والتبجيل والإحترام لمقام شخص إبنة الرسول وزوج الأمير وأم الحسنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا دائماً ما يحدث مع الأشياء المقدسة، حيث لا يقتحم خطر مواجهتها إلّا الذين ملأ الشر والحقد كيانهم، وترسخت وتأصلت جذور الطمع فيهم، وكما حدث في زمن نبي الله صالح عليه السلام، وما أقدم عليه أولئك النفر من عقر الناقة، والذي كان عملهم هذا متعلق بقلوب كثيرة من المنافقين، الذين كانوا يتمنون حدوث هذا الفعل من غيرهم ليروا النتائج المترتبة عليه، والتحرك على ضوئها بحسب قابلية واستعداد كل فرد منهم نحوها.

وهذا في الواقع ما تعيشه مجتمعاتنا الآن من صور متعددة من صور النفاق الإجتماعي، والنفاق الديني والثقافي. فإن صورة إظهار الأشياء بخلاف ما يبطنونه، هي المتصدرة والمنتشرة في مجتمعاتنا، وإذا كان الحال بهذه الصورة، فإننا نحتاج الى عدد من الأحداث غير متناهي، لينكشف لنا زيف الكثير ممن يتلبسون بملابس المكر والخديعة.

٢- بعد أن انتهوا من عملهم الإرهابي بكسر ضلع الزهراء عليها السلام

وإقتحام الدار، لم يكن هذا العمل ليولد رعباً في قلب الزهراء، أو يشكل معرقلاً وحائلاً دون تحركها الإصلاحي سلام الله عليها، ومواجهة المد التخريبي الذي يعدّه أصحاب ليلة العقبة، وأصحاب سيناريو السقيفة المشؤوم، فكانت أولى بوادر ذلك الرفض لقوى الباطل هو خطبتها في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وإفحام القوم بالحجج التامة، التي جعلت من سكون الندم أن يتفجر عن دموع من عيون الأنصار والمهاجرين، ويواليتها كانت دموع تستثير فيهم الوعي والإنتباه للعودة من جديد لمسار الرسالة ومسعى النجاة.

دموع ما أسرع ما خففت من حرارة العاطفة التي أيقظتها، ثم قذفتها زفرات ما فتأت أن تنتهي، بمجرد أن تكلم الشيخين بمناغات مشاعر القوم بمنطق توظيف إمكانات الدولة للصالح العام، معتبرين أخذ فدك من فاطمة عنوة معلل بطريقين، الأول هو أنّهم عندما كذبوا على الرسول صلى الله عليه وآله بقولهم أنهم قد سمعوه يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. والثاني هو ذلك التعليل البراكماتي الواضح بأننا لم نأخذ فدك لنا، وإنّما أخذناها من أجل الإسلام والمسلمين، وسد احتياجاتهم في الحروب، وتوفير مؤنهم المعاشية.

ولكن هذا الإجراء لم تقابله فاطمة الزهراء بالصمت والرضوخ، وإنّما ظل

لسانها ينطق بالحق، وهي تبث شكواها من خلال كشف ضلال القوم وانحرافهم، بعد أن كانت نساء الأنصار والمهاجرين يزرنها في دارها وهي مريضة، ولذلك اتهموها بكثرة البكاء والنياح، من أجل ابعادها عن نساء المسلمين وعدم الوصول إليها، لأن تلك النسوة كنّ ينقلن كلام وحجج الزهراء عليها السلام الى أزواجهن وأولادهن، وخوفاً من أن تنكشف الحقائق وتتراكم لتشكل ظاهرة انتفاضة لا يرغب بها حزب السقيفة، ولذلك بنى الإمام أمير المؤمنين بيت الأحزان، وليشكل بالتالي خطوة الإقامة الجبرية للزهراء في ذلك البيت الذي لم يسمح لأحدٍ بالوصول إليها.

هذا بالنتيجة شكل منحى جديداً عند المسلمين الأوائل، لعلّه كان يشكل إعلان حرباً فعليّة ضد الزهراء عليها السلام، لأنّهم أدركوا أن ما أرادوه أن يكون لن يتم، إلّا بهدّ ركن عليّ عليه السلام الثاني المتمثل بفاطمة بعد قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي: (سلام عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا خيراً، فعن قليل ينهد ركناك، والله خليفتي عليك. فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله قال علي عليه السلام: هذا أحد الركنين الذين قال النبي صلى الله عليه وآله، فلما ماتت فاطمة عليها السلام، قال علي عليه السلام: هذا الركن الآخر الذي قال النبي صلى الله عليه وآله)[1].

---

(١) فضائل الخمسة، مصدر سابق: ج١، ص٢٤١، نقلاً عن حلية الأولياء: ج٣ ص٢٠١.

فهذا الإقصاء والإعتداء والغصب وسكوت المسلمين وعدم إتخاذ أي موقف حركي ضد تلك الهجمة الشرسة على الزهراء عليها السلام وسلب حقها، كانت نتيجته أن يسقط حقهم في السماح لهم بمعرفة قبرها وزيارته، لأنهم لم يكونوا يستحقون تلك المعرفة التي ستمنحهم البركة والعطاء والأمان.

السبب الثاني:

إنّ خفاء قبر الزهراء عليها السلام، هو أحد الأدلّة المحكمة التي تبين فضاعة وفداحة وعظم الجرم المرتكب من قبل القوم في حق فاطمة، بحيث أدى بالتالي الى أن يحجب ذلك القبر الطاهر عن جميع المسلمين، لتكن عقوبة للفاعل والساكت عن ردّهم، وفي ذلك خير دليل للذين لم يثبت لديهم ما صدر من القوم بحرق الدار وكسر الضلع، واعتبره بعض منهم أنّه من الموضوعات المختلقة، التي سيقت بلحظة عاطفة وحقد مركب على القوم، ولعمري لو تساءلوا وتشاوروا مع أنفسهم أولاً، ثم فيما بينهم ثانياً، عن سبب خفاء القبر الطاهر وضياع تلك الروضة الطاهرة، وأمانها المفقود عن عيون ومجسات المسلمين، فإنهم لن يجدوا مبرراً لذلك إلّا إنّها علّة أصيلة لن تحل بديلاً عنها غيرها من العلل لتكون نتائجها بموازاة خفاء ذلك القبر الشريف.

السبب الثالث:

إنّ الصديقة الطاهرة عليها السلام لم تكن يوماً من الأيام تحت غطاء الإختفاء، بل هي ذلك العلم الفاطمي الشاهق، وطموح الراحلين المخلصين من أجل النجاة، وحينها ستتساءل الأجيال جيلاً بعد جيل عن سبب خفاء القبر، وهنا سوف تظهر الإجابات بعدّة صور يستخرجها الفرد بحسب طاقاته واستحقاقه، نحو البحث الجاد عن الحقيقة، لتضع بالتالي الفرد في موقف الحدث نفسه، أو قل ساعة حدوثه ولينظر للدوافع والأسباب، ومن ثم ليقرر ويحدد موقفه النهائي مع الزهراء أم ضدّها؟ ساكتاً يكون أم ناطقاً؟ وذلك بعد أن يضع مواقف التحرك لرفض الباطل الذي يحيط بجيله المعاش لتكون نصرة للزهراء وصوتاً صارخاً بوجه اعداءها الذين لازالوا يغتصبون الحق ويظلمون الناس باسم الدين.

السبب الرابع:

عندما توفي الرسول صلى الله عليه وآله وفاضت روحه الشريفة وهو بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، ذهب القوم الى سقيفة بني ساعدة لأخذ البيعة من المسلمين لأبي بكر، ومن ثم إتمام اجراءاتها داخل مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، تاركين الجسد الطاهر مطروحاً لا يوجد معه إلّا علي عليه السلام

وفاطمة وبعض الخلّص ليقوم بغسله وتجهيزه.

ذهب القوم يتنازعون في أمر الخلافة عند السقيفة، ولا كأن خطب جلل قد حصل، ولا كأن أعظم رسول في الوجود قد رحل، فاجتمعت الأنصار والمهاجرين كلٌّ له رأي، فقال الحباب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير. وقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء والأمر بيننا نصفان كشق الأبلمة، فكان أمر رحيل أقدس رجل في هذا الوجود، لم يكن يعنيهم بشيء، وإنّ أمر الخلافة هو المهم، أما مسألة احترام وتقديس هيبة شخص الرسالة حياً وميتاً، لم تكن عندهم لتعدل جناح بعوضة، أو تزن مثقال ذرة، بل الخلافة وكرسيها هي المنى.

وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نصل الى نتيجة، هي أن هناك أمر مهم علينا الإلتفات إليه وتقييم وزنه ألا وهو: هناك ميزان وفي إحدى كفتي الميزان رسول الله صلى الله عليه وآله أو قل جسده الطاهر، وفي الكفّة الأخرى سقيفة بني ساعدة أو قل الخلافة والسلطة. فأمّا القوم فقد ذهبوا الى كفّة السلطة، وزهدوا بالكفّة الأخرى. وانفرد عليّ عليه السلام بالكفّة التي فيها جسد الرسول صلى الله عليه وآله، فكان هو حظوته وسلواه من هذه الدنيا.

فعل القوم ذلك لان الخلافة كانت تعني لهم الاستحواذ والهيمنة، وعالم

الأوامر والنفوذ، التي يتم من خلالها تغيير الثوابت، وحلّ العُرى الوثقى، فهي تمدّهم بالقوّة والهيبة، فعندهم وجودها حاضر وأثره حاد[1].

كل هذه الأمور تجري، والطامّة الكبرى أن أمر الإستخلاف لم يكن مطروحاً لأول مرّة، بل قد تم حسمه وبيانه في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يبق شاك فيه إلّا أعمى القلب والبصيرة. فكان هذا التصرف من قبل القوم، كاف جداً لأن يكون له عقاب قاس، بحيث لا إنقضاء لأمده، على اعتبار التهاون الذي مس الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته من قبل المسلمين، وبما أنّ إخفاء قبر الرسول وعدم مشاركة المسلمين في مراسيم الدفن، أمر من غير الممكن أن يحدث كعقوبة لهم وللأسباب الآتية:

١ - إنّ الرسول صلى الله عليه وآله يمثل مرتكز الإسلام الأساسي، ورمز وجوده الأول، وباعتبار عالمية الرسول والرسالة، فإنّه سيجعل من المسلمين وعلى رأسهم الشيخين أن يقفوا بكل حزم وقوّة، لمنع حدوث أمر تغييب قبر الرسول صلى الله عليه وآله أو عدم المساهمة في دفنه، لأنهم يعملون ومنذ فترة طويلة، على تكثيف البعد الإعلامي على أنّهم حاضنة

---

(١) ينظر دفاع عن فاطمة الزهراء، للمؤلف، نشر جيكور، بيروت، ط١، ٢٠١٦م: ص٤٠ وما بعدها.

الرسول وأقرب الناس إليه، فكيف بعد ذلك يحدث أمر يُغَيّب فيه قبر الرسول وهم في غفلة عنه؟

٢- إنّ وسيلة إخفاء قبر الرسول صلى الله عليه وآله من قبل علي عليه السلام، ستكون وسيلة رفض مطلق بعدم شرعية الخليفة الأول، والذين تلوه من بعده. من قبل الإمام نفسه ومن قبل المسلمين، على اعتبار أنّه ستثار عدّة تساؤلات من أهمها، كيف يكون فلاناً خليفة وينوب عن الرسول في إدارة شؤون المسلمين، وهو لا يعلم بقبر من استخلفه، وخصوصاً أنّه توفي في أرضهم، مضافاً الى أن بنتيهما كانتا تحت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا الأمر بالتأكيد سيجعل من القوم يفقدون رشدهم وبشكل جنوني، وسيقدمون على فعل أشياء لا تحمد عقباها وسيكون ضررها أشد على الإسلام من الضرر الذي قدّموه للأمة الإسلامية بإستلاب الخلافة وفدك.

٣- إنّ وجود قبر الرسول صلى الله عليه وآله وتحديد مكانه، يعتبر من الضروريات ولا يمكن بحال إخفائه، لأنّه من الرحمة الواسعة العامة، التي سينبثق عن وجوده عدّة مصالح من أهمها:

أ- هداية الناس وسيكون ذلك على اعتبارين، الأول منهما أنّه سيكون محلاً

للاعتبار والتذكر للمسلمين، والثاني أنّه سيكون محطاً للتساؤل والبحث بالنسبة لغير المسلمين، كلما عرض لهم ذلك الشاخص، مما يجعل الكثير منهم أن يبحث عن حياته وتصرفاته وما حجم تأثيره في المجتمع، مما قد يؤدي بالتالي الى هدايتهم.

ب- سيكون محلاً لقضاء حوائج المسلمين، كونه شفيعهم في الآخرة وباب رحمة الله في الدنيا حيّاً وميتاً، وحتى لا يحرم المسلمون من هذا العطاء، كان ولا زال قبره صلوات الله عليه ظاهراً يفيض بالخير والبركة لزواره ومريديه.

كل هذه الأمور أدت بالتالي الى تأجيل العقوبة المناسبة للإستهانة، وعدم المبالاة بحرمة جسد الرسول صلى الله عليه وآله، الى مراسيم دفن الزهراء عليها السلام سراً وبظلام الليل الدامس، ليكون قبرها مخفياً عن جميع المسلمين بل عن أهل الدنيا جميعاً.

وكان هذا الأمر ليس إجراءً غريباً، أو عقوبة بعيدة عن عقوبة المصداق الأول، كون الزهراء تمثل قلب الرسول وروحه التي بين جنبيه، وهي بضعة منه صلوات الله عليهما، فكانت هي المناسبة جداً ليكون قبرها مخفياً، بدلاً عن خفاء قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يكون الأثر الوضعي ساري

المفعول لذلك الفعل المخزي الذي أقدم عليه القوم.

السبب الخامس:

رحلت الزهراء عليها السلام عن الدنيا وعمرها ما يقارب الثمانية عشر سنة، وهي بهذه السنوات القليلة تعتبر أصغر المعصومين الأربعة عشر من حيث الرحيل عن الدنيا، وبرحيلها فقد المسلمون نعمة عظيمة كانت تعيش معهم، وكان لوجودها المبارك الكثير من دفع البلاءات، لكنهم لم يشكروا الله تعالى على هذه النعمة، وأبدلوها ببيعة الخليفة الأول، التي مهدت له خطوات كسر ضلعها وسلب أرض فدك منها. وإذا كان عقر ناقة صالح قد تسبب في هلاك قوم صالح واستئصالهم، فكيف بمن تعدى على بضعة الرسول الموصى بها، بتلك الأقوال والأحاديث القدسية التي لم يدانيها بهذا الفضل أحد، وإذا كان عذاب الإستئصال عن أمّة محمد صلى الله عليه وآله قد رفع ودفع، كرامة للرسول، فإن هناك أنواع من العقوبات والبلاءات، لم ترفع عن أمّة المسلمين أو غيرهم، كرفع البركة، أو عدم التوفيق، أو انتشار الخوف والمرض، أو كثرت المظالم والى غيرها الكثير. فكان خفاء قبر فاطمة عليها السلام هو العقاب المناسب لتصرف الجماعة بوحشية وهمجية، وسكوت المسلمين عنهم، وليشعروا بأنّهم لم يكونوا موفقين، وأنهم قد أخطأوا خطئاً جسيماً، ولذلك

كانت نتائج ذلك الفعل القبيح، أن تستمر آثاره الوضعية ما دامت الدنيا مستمرة.

السبب السادس:

إنّ الزهراء نفسها سلام الله عليها، تعلم ببركتها وسعة عطائها حيّة وميتة، ولذلك أرادت أن تجعل هناك شيئاً رمزياً، يعبر عن عدم رضاها عن القوم، وأن ما أقدموا عليه من فعل لن يوفقوا بسببه لنيل التوبة والغفران، ومن ثم لتشارك الأجيال اللاحقة بهذا الفعل الرافض والساخط على الذين هتكوا حرمة الزهراء عليها السلام.

وحينئذ ستنقسم الأجيال الإسلامية اللاحقة تجاهها الى قسمين هما:

الأول: أن يكون راضياً ومقتنعاً بما أقدم عليه القوم، من الهجوم على دار الزهراء وكسر ضلعها وسلب فدك منها، وهذا القسم يكون استحقاقه الفعلي، أن لا يوفق لزيارة القبر الطاهر، ونيل ما وراء الزيارة من عطاء لا يدانيه أي عطاء في الكون كله.

وأمّا الثاني: الرافض لهذا الموقف جملةً وتفصيلاً، ويحترق ألماً وحزناً على ما جرى للزهراء عليها السلام بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله ولكنه صبر، وشوقه اللاهب لزيارة القبر يرافقه ليلاً ونهاراً، بالرغم من عدم قدرته على

معرفة مكانها، فإنّه بالتالي سيجازى جزاء الحسنى وسينال العطاء المناسب على صبره وتحمله ألم الفراق، وعدم التشرف بزيارة القبر الطاهر ليشكل له بالتالي عطاءً لا يعلمه إلا الله تعالى.

السبب السابع:

أرادت الزهراء عليها السلام بخفاء قبرها، إيصال رسالة رفض ليس للجيل المعاصر لها فقط، وبيان إعتراضها بغياب هذا الشاخص المقدس. وإنّما أرادت أيضاً – ولعلّه هو الأهم في نظرها – إيصال رفضها واستنكارها للأجيال القادمة، على سكوتها وخنوعها أو مشاركتها مع الطواغيت وحكام السلطة المغتصبة، لما تقوم به من معاداة لأبنائها، والسعي الى قتلهم وتشريدهم وسجنهم وحبس حقوقهم واستحقاقاتهم في قيادة الأمّة وتعديل مسارها المنحرف.

ولذلك سيكون من المعقول والمنطقي جداً، بأن تعترض الزهراء عليها السلام اعتراضاً له روح الاستمرار والتجدد، وبدرجات فهم أعلى، في تحليل ما جرى والإستفادة من العبر المتوخاة من ورائها، مهما تباعدت وتكاثرت الأجيال، وطال الزمن وتشابكت أحداث التأريخ. وهذا ما أوكد عليه دائماً في كتاباتي ومؤلفاتي، بأن أفعال وأقوال المعصومين عليهم السلام تمتاز بسمة

التجدد، ولكل جيل منها نصيب مفروض، وستبقى تساير الفهم العصري والحداثوي، ولن تقتصر يوماً على الجيل المعاصر لها فقط، أو تحبس أقوالهم بين جدران من جرت بينها أو تحتها المحاورة والأقوال، وإنّما هي لكل الشعوب بإختلاف ثقافاتهم وعاداتهم وطبائعهم، فهذه التوليفة التي تمتاز بها أفعال المعصومين وأقوالهم، هي التي ستفتح للإمام المهدي عليه السلام أبواب دخول الأمم الأخرى الى الإسلام أفواجاً.

السبب الثامن:

إن مسألة غياب أو اختفاء أنبياء الله وأوليائه، أو آثارهم لم تكن غريبة عن الذهنية الإسلامية العامّة في ذلك الحين، وكانت لهذا الغياب وعدم الحضور، عدّة أسباب من أهمها خروج أقوالهم عن الطاعة، والوقوع في المعاصي المتكررة، مضافاً على اقدامهم المباشر على أذية المعصومين عليهم السلام، وكما حدث في غيبة موسى عليه السلام وابتعاده عن قومه، وغياب يوسف عن أبيه، بالرغم من أن يعقوب عليه السلام لم يمارس أو يرتكب أي نوع من أنواع المعصية، لا تجاه ربّه ولا في حق ولده يوسف عليه السلام، وكذلك غياب يونس عليه السلام في بطن الحوت، مضافاً الى خفاء تابوت الشهادة، الذي فيه ألواح موسى وبقية من آثاره، والذي كان يستخدم لجلب النصر في حروب بني

إسرائيل[1]، هذا فضلاً على طول غيبة الخضر عليه السلام، التي ما زالت تساير التاريخ، وتعاصر الأجيال بتعاقبها الطويل.

هذه الأشياء كانت كلها حاضرة عند المسلمين، كيف لا، والقرآن الكريم بآياته لا زال غضاً طرياً، لم يفارق أسماعهم وهو مازال يتنزل على الرسول صلى الله عليه وآله بتلك القصص للإعتبار، والرسول يحكي لهم مبيّناً تلك الأدوار والحالات التي مرّ بها الأنبياء، قارعاً أسماعهم بأنّهم سيتبعون الأقوام الذين سبقوهم حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل حتى أنهم إذا دخلوا جحر ضب

---

(١) جاء في مجمع البيان عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ البقرة ٢٤٨، عن علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي جعفر أن التابوت كان الذي أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها وألقته في البحر وكان في بني إسرائيل معظماً يتبركون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو إسرائيل في عزٍّ وشرف ما دام فيهم حتى استخفّوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلمّا عملوا المعاصي واستخفُّوا به رفعه الله عنهم فلما سألوا نبيَّهم ان يبعث إليهم ملكاً بعث الله لهم طالوت وردَّ عليهم التابوت. (ج٢ ص٤٥٥).

ضب دخلتموه[1].

ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وآله يريد أن يشعر المسلمين، بأنهم سيمارسون تلك الأدوار السابقة معه ومع الأئمة المعصومين من ابنائه، وعندئذ ستكون النتائج متشابهة سواء في قتل الأنبياء، أو في التسبب بغيابهم وابتعادهم، سواء بالبعد الشخصي الذاتي، أو آثارهم وعلى المستوى المادي أو المعرفي.

وبدلاً من أن يكون المسلمون حاضري البديهة في مثل هذه المواقف المتشابهة، متى ما حلّت بينهم، نسوا ذلك عن عمدٍ وقصد، أو سهو. فكان لابد من قول الرسول صلى الله عليه وآله وما أخبر به من أن يتحقق. فحدث خفاء القبر ، وليتهم اتعظوا بذلك الحدث الهام، ليراجعوا أوراقهم بعدم تكرار هذه الأفعال والمعاصي حفاظاً على المتبقي، لكنهم وللأسف الشديد استمروا في طغيانهم وعتوهم، بل زادوا على ما أقدموا عليه في السابق، بأفعال طويت السابقة تحتها طيّاً، بحيث تفننوا في مواجهة أئمة أهل البيت عليهم السلام والإعتداء عليهم، فتمخض تكاملهم التسافلي بقتل الإمام الحسين عليه

---

(١) جاء في مجمع البيان عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: قيل لتركبنَّ سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم عن أبي عبيدة وروي ذلك عن الصادق عليه السلام والمعنى أن يكون فيكم ما كان فيهم ويجري عليكم ما جرى عليهم حذو القذة بالقذة المصدر السابق: ج١٠ ص٥٨٩.

السلام، وقطع رأسه الشريف، وسبي ذراري الرسالة، والطواف بهم كأسرى حرب يساق بهم بين البلدان.

السبب التاسع:

خفاء قبر فاطمة الزهراء عليها السلام وغيبة الإمام المهدي عليه السلام، بمعنى من المعاني يعتبر كلاهما غيبة عن الموالي والأعداء، وكلاهما نوع من أنواع الرفض والاستنكار للمعاصي والذنوب التي تصدر من الناس، وخصوصاً المسلمين منهم.

فإذا كان قبر الزهراء قد خفي عن المسلمين للأسباب التي ذكرت من قبل، فلعمري تكاد تكون هي نفس الأسباب التي أدت بالنتيجة الى غياب الإمام المهدي وخفائه، والفارق بينهما سلام الله عليهما، هو أن الزهراء قد مورس ضدها التجاوز والاعتداء، بحيث استشهدت بسبب تلك الأعمال، وحرمت الإنسانية فيض بركاتها وعطاءها، بينما الإمام المهدي لم يمارس مثل هذا الشيء معه، فكانت عملية غيبته نستطيع أن نسميها عملية استباقية، الغرض منها تجريد الطرف الآخر من محتواه التخريبي، وقوّة ذات الشوكة لديه في مواجهة أعمدة وأركان الإصلاح الإنساني، والتسبب في رحيلهم عن الدنيا بأسرع الأوقات.

هذا الشي بطبعه سيولد لنا تساؤل وهو لماذا لم يعش الإمام المهدي عليه السلام تجربة المواجهة المباشرة مع الطواغيت والظلمة، بعنوانه الأولي كما عاشته الزهراء عليها السلام ثم يمارس غيبته؟ وجواب ذلك يكون كالآتي:

١ - إن الإسلام كان حديث عهد ولازال طرياً أخضراً، والمسلمون كان كثير منهم متحمس لهذا الدين الجديد، ولكنهم لم يكونوا يمتلكون القدر الكافي للفهم المعمق للإسلام، وإنّما مفاهيم الأغلبية كانت لا تتعدى مستوى طموحهم، ومعرفتهم المحدودة بالأشياء التي تصورها لهم صحراء شبه جزيرة العرب.

وحينها لو اختفت وغابت الزهراء عليها السلام عنهم، سيتساءلون بالمباشر عن سبب هذا الغياب، بالرغم أنهم لم تصدر منهم أية بادرة يعلل من خلالها سبب الإختفاء، على اعتبار أنّه لم يمارس بعد دور القتل المباشر لهم، أو المواجهة القاسية التي تؤدي بالتالي الى الإستشهاد.

٢ - إن الأشياء في هذا الوجود لا تنضبط حركتها الإلهية، ولا تنخرط في سلكها المنظوم الذي أراده الله تعالى في بعده الإختياري، إلّا مع المعصومين عليهم السلام، وذلك لتكامل ذواتهم المقدسة وعلو شأنهم من بين الخلق أجمعين، فكانت الحكمة والرحمة تُرى من خلالهم، وعلى هذا الأساس

فإنهم لم يكونوا يقوموا بأي عمل إن لم يكن موافقاً للحكمة الإلهية.

فلو غابت الزهراء عليها السلام قبل أن يحدث ما حدث لها، لما كانت تتحقق الأهداف والمصالح، كما حدثت بعد أثر الاعتداء والاستشهاد وغياب القبر.

٣- ويمكن أن ينبثق هذا السبب من نقطة رقم (١)، بحيث يمكن القول بأنه لا يمكن القصاص قبل الجناية، إذ من غير المعقول أن يعاقب القوم بغياب الزهراء عليها السلام وخفائها قبل الاعتداء عليها، وبيان الجرم الذي تسبب بخفائها، أما بعد الاعتداء، فقد وضح بشكل علني سبب عدم رضاها عن القوم، بحيث استشهدت وهي ساخطة عليهم، فكان إخفاء قبرها سلام الله عليها إجراءً مناسباً ينم عن شناعة الأفعال التي مورست ضد الزهراء عليها السلام.

وهذا ما حدث مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما قالوا له: لماذا لا تقتل عبد الرحمن بن ملجم؟ فقال بمضمون الرواية: وكيف أقتل قاتلي، أو في رواية أخرى أنه سلام الله عليه قال: لا يجوز القصاص قبل

الجناية[1].

(١) لقد جاء في الرواية، في اليوم الذي استشهد فيه علي عليه السلام: (... أقبل الإمام على فتح الباب فعسر عليه فتحها وكانت من جذوع النخل فاقتلعها فانحل إزاره فشدّه وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

واضطرب الإمام الحسن عليه السلام من خروج أبيه في هذا الوقت الباكر فقال له:

- ما أخرجك في هذا الوقت؟.

- رؤية رأيتها في هذه الليلة أهالتني.

- خيراً رأيت، وخيراً يكون، قصّها عليّ.

- رأيت جبرئيل قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس، فتناول منه حجرين، ومضى بهما إلى الكعبة، فضرب أحدهما بالآخر فصارا كالرميم، فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلّا ودخله من ذلك الرماد شيء.

- ما تأويل هذه الرؤيا؟.

- إن صدقت رؤياي، فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلّا دخله الهمّ والحزن من أجلي.

فالتاع الحسن وذهل وانبرى قائلاً بصوت خافت حزين النبرات:

- متى يكون ذلك؟.

أمّا ما يخص الإمام المهدي عليه السلام في مسألة خفاءه، فكل هذه الأسباب كانت موجودة ومأخوذة بنظر الاعتبار، لتكون عللاً رئيسية في خفائه سلام الله عليه.

- إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلني عبد الرحمن بن ملجم.

- إذا علمت ذلك فاقتله.

- لا يجوز القصاص قبل الجناية، والجناية لم تحصل منه ...). حياة الإمام الحسن بن علي، باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م: ج١ ص٥٥٧.

ما علاقة خفاء قبر الزهراء عليها السلام بغيبة الإمام المهدي عليه السلام؟

والآن لنأتي ونركز على شيء مهم كنّا قد ذكرناه، وهو ما علاقة خفاء قبر الزهراء بغيبة الإمام المهدي عليه السلام؟ وهنا يمكن لنا أن نعطي عدّة أجوبة منها:

أولاً: إنّ مجرد طرح فكرة خفاء شيء، سوف يغرس في ذهن الحاضر والمستقبل، مفهوم توقع خفاء الأشياء وابتعادها عنّا، حتى ولو كانت على نحو الفجأة، وهذا يشمل الأشياء ذات القيمة القدسية العالية، أو الذوات الإنسانية التي تملك مواقع اجتماعية وعقائدية مؤثرة، بعد استحضار الأسباب المؤدية لذلك الخفاء أو الغياب، ولذلك يمكن اعتبار خفاء قبر الزهراء عليها السلام كان ممهداً أولياً لغيبة الإمام المهدي عليه السلام. خصوصاً إنّ هذا الشيء لم يكن معهوداً عند العرب من قبل، فضلاً عند أمّة الإسلام وهي في بداياتها.

ثانياً: إن طلب الزهراء عليها السلام لخفاء قبرها، كأن في إجرائها هذا هي تساند فعل الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وابتعاده عن القواعد الشعبية فضلاً عن أعدائه. وفيه إعطاء الشرعية الكاملة لهذا الغياب، ما دامت أدوات

الظلم موجودة ومتحركة وفاعلة مع غياب الناصر. وهي سلام الله عليها بالتالي حجة الله على المعصومين من ولدها، كما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: (نحن حجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة عليها السلام حجّة الله علينا)[1].

وكذلك ما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: (يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما)[2].

إذن يفهم من هذا الحديث القدسي، هي من ضمن العلل العليا التي تشترك في إيجاد الأشياء، وبهذا الاعتبار يمكن لنا القول: لولا خفاء قبر الزهراء عليها السلام لما كانت هناك غيبة للإمام المهدي عليه السلام بهذا المعنى العام والشامل.

ونريد هنا أن نخطو خطوة أخرى بهذا المعنى، إذ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قد كانت سبباً رئيسياً في منح الائمة المعصومين من ولدها عدّة أدوار

---

(١) الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، نشر مؤسسة الأنوار الفاطمية، ط٤، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ: ص٦٩. نقلاً عن تفسير أطيب البيان ١٣/ ٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ص٨٢ نقلاً عن الجنّة العاصمة ص١٤٨، مستدرك سفينة البحار ٣/ ٣٣٤، عن مجمع البحرين ١٤.

يمارسونها في وجودهم الدنيوي، أو قل لتكون لهم القدوة في حدوث ما يجري عليهم، من أزمات ومصاعب وبلاءات، لتكون بالتالي قد مارست دور الحجيّة بشكل عملي، كعزلها في بيت الأحزان، وهو أشبه ما يكون بالإقامة الجبرية في ذلك المكان. وكذلك في شهادتها ورحيلها عن الدنيا، وهي في عمر لا يتجاوز الثامنة عشر.

ماذا يمكن أن نفهم من كنية أمّ أبيها؟

❖ الأمور المتعلقة بهذه الكنية.

❖ بعض الآراء التي حاولت بيان معنى أمّ أبيها.

❖ أسباب أخرى محتملة حول هذه الكنية.

❖ ماذا قدمت فاطمة عليها السلام لتكون أمّاً لأبيها، قبال أمومة أم موسى وأم عيسى؟

قال الفاضل المجلسي: إنّ لها (عليها السلام) خمس كنى هي: أمّ الحسن، وأمّ المحسن، وأمّ الحسين، وأم الأئمة، وأم أبيها[١].

وقد روي في مقاتل الطالبيين بإسناده الى جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه: إنّ فاطمة كانت تكنى أمّ أبيها[٢].

وجاء في كشف الغمّة للأربلي: كان النبي صلى الله عليه وآله يعظم شأنها ويرفع مكانها، وكان يكنيها بأمّ أبيها[٣].

وجاء في كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ذكر عن جعفر عن صلى الله عليه وآله أنه قال: كانت كنية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) اللمعة البيضاء في شرح خطبة، تأليف المولى محمد علي بن أحمد القراچة داغي التبريزي الأنصاري (ت١٣١٠)، تحقيق السيد هاشم الميلاني، قم، ط١، ١٤٢٤هـ: ص١٢٢ نقلاً عن البحار ٤٣: ٦١ ح١٥ والعوالم ١١: ٨٩ ح٢، ومناقب ابن شهر اشوب ٣: ٣٥٧.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبي فرج الأصفهاني (٢٨٤ – ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ط٤، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م: ص٥٧.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣هـ)، نشر دار الفجر، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م: ج٢ص٦٨.

أم أبيها[1].

قبل الخوض في كوامن وأسرار هذه الكنية المباركة، علينا أن نعرّف معنى الأمّ لغوياً، فقد جاء في لسان العرب: وأمّ كل شيء: أصله وعماده. قال ابن دريد: كل شيء انضمت إليه أشياء فهو أمٌّ لها. وأمّ القوم: رئيسهم...

وأمّ الكتاب: فاتحته، لأنّه يبتدأ فيها في كلّ صلاة، وقال الزجاج: أمّ الكتاب: أصل الكتاب، وقيل اللوح المحفوظ ...

وقال قتادة: أمّ الكتاب أصل الكتاب. وعن ابن عباس: أمّ الكتاب القرآن من أوله الى آخره... وأمّ النجوم: المجرّة لأنها مجتمع النّجوم، وأمّ الطريق: معظمها إذا كان طريقاً عظيماً وحوله طرق صغار فالأعظم أمّ الطريق.

وأمّ القرى: مكّة، شرفها الله تعالى، لأنها توسطت الأرض فيما زعموا، وقيل لأنها قبلةُ جميع الناس يؤمونها، وقيل سمّيت بذلك لأنها كانت أعظم القرى شأناً، وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا**﴾ وكلّ مدينة هي أمّ ما حولها من القرى. وأم الرأس: هي الخريطة التي فيها الدماغ[2].

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مصدر سابق: ج٣ ص١٥٢ نقلاً عن الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٧٥٢.

(٢) لسان العرب، مصدر سابق: ج١ ص٢٢٨.

وجاء في كتاب العين: اعلم أنّ كل شيء يضمّ إليه سائر ما يليه فإن العرب تسمِّي ذلك الشيء أُمّاً .. فمن ذلك أمّ الرأس وهو الدماغ...

وأمّ القرى مكّة، وكل مدينة هي أمّ ما حولها من القرى. وأم القرآن: كل آية محكمة من آيات الشرائع والفرائض والأحكام. وفي الحديث: (إنّ أمّ الكتاب هي فاتحة الكتاب) لأنّها هي المتقدمة أمام كلّ سورة في جميع الصلوات.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾ الزخرف٤، أي: في اللوح المحفوظ[1].

وجاء في كتاب الكليات: وأمّ كل شيء: أصله ... وأمّ الكتاب أصله، أو اللوح المحفوظ، أو سورة الحمد لأنّه يبتدأ بها في المصاحف وفي كل صلاة، أو القرآن جميعه[2].

وفي مجمع البيان في بحث اللغة: وأمّ الكتاب أصله ومكة أمّ القرى، ويقال

---

(١) كتاب العين، لأبن عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ص٣٨.

(٢) الكليات، لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، نشر ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٣٣ه : ص١٤٦.

لعَلَم الجيش أمّ وأصله أمّهة ولذلك يجمع على أمهات.

وفي تفسير لقوله تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أي أصل الكتاب[١].

وقال صاحب تفسير الكشاف في تفسير «أمّ الكتاب»: أي أصل الكتاب، تحمل المتشابهات عليها وترد إليها[٢].

وجاء في تفسير الميزان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أي أصله فإنّ الأمّ هي الأصل الذي يُنشأ منه الشيء ويرجع إليه[٣].

ويقول في مكان آخر: وتسميته بأم الكتاب لكونه أصل الكتب السماوية يستنسخ منه غيره[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج١ ص٥٢٦.

(٢) تفسير الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م: ص١٦١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج١١ ص٣٧٦.

(٤) المصدر نفسه: ج١٨ ص٨٤.

الأمور المتعلقة بهذه الكنية المباركة

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما كنّى فاطمة الزهراء عليها السلام بأمّ أبيها، فإنه كان يعني ما قاله، وهو يريد أن يصل من خلال إطلاق لفظ تلك الكنية الى مقصود ثقيل، ومرمى بعيد. وقبل بيان المعاني والمفاهيم المحتملة لهذه الكنية المباركة، لا بأس أن نتطرق الى بعض الأمور منها:

أولاً:

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد اختار كنّى وأسماء لفاطمة الزهراء عليها السلام في غاية الأهمية، وكلها على مستوى عال من العمق والأبعاد الدلالية، سواء كانت على مستوى الإطلاق والتفرد، كسيدة نساء العالمين، أو على مستوى الإشتراك والتضمن مع الرسول صلى الله عليه وآله كقوله: فاطمة بضعة مني، أو بمستويات أخرى مختلفة كما في الكنية التي نحن بصددها. فهل هذه الكنى والأسماء، كانت تصدر من فم الرسالة على نحو المجاز أم الحقيقة بحيث لها آثارها في الواقع؟.

والحقيقة إن كانت تلك الألقاب والكنى على نحو المجاز والتشبيه، لوجود بعض الخصائص والقابليات التي تؤهلها لهذا التشبيه، فحينئذ سيكون ذكرها للتبرك وإلفات نظر الآخرين إليها لما تمتلكه لبعض من الخصائص والسمات.

وأمّا إذا كانت تلك الكنى والأسماء على نحو الحقيقة، وهي نابعة من ذات الزهراء سلام الله عليها، وكلام الرسول صلى الله عليه وآله مجرد كاشفاً عنها، فهذا يستدعي بأن هذه الأمور لها آثارها الواقعية على المجتمع الإنساني بشكل عام، وعلى المسلمين بشكل خاص.

وبالتالي فإن هناك لكل اسم وكنية، أثرٌ وضعي في حال تعامل الفرد معه سلباً أو إيجاباً، مما سيشكل أو قل تنتظم من خلاله الهوية الإيمانية للفرد ومدى ثقلها أو خفتها.

والحقيقة إنّ الدلائل والقرائن كلّها تؤيد وتميل الى البعد الثاني، وهو أنّ كل هذه الأسماء والكنى هي على نحو الحقيقة وليس المجاز، على اعتبار أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى. فكما وصف أبي ذر بصدق اللهجة، وقال عن عمار بأنّه قد ملئ إيماناً على نحو الحقيقة، فكذلك هنا في هذا المقام، بل لعل هذا المقام أشدّ وقعاً لملازمة القرائن الكثيرة له، مضافاً الى شهادة القرآن بمؤهلات الزهراء عليها السلام التي تجعل لها مثل هذه المقامات وزيادة، كآية المباهلة وآية التطهير وآية إطعام المسكين.

ثانياً:

لم تتشرف بهذه الكنية المباركة التي بيّنها الرسول صلى الله عليه وآله بحق

فاطمة الزهراء عليها السلام أية امرأة في هذا الكون، بل الأكثر من ذلك حتى نساء النبي صلى الله عليه وآله عندما قال الله تعالى عنهن في كتابه الكريم: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**... ﴾ الأحزاب٦، كان ذلك على نحو التشريف والاحترام، لإرتباطهن بالرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكن على نحو المكنة التكاملية لذواتهن، بحيث وصلن لهذا المقام، وإنّما كان هذا البيان على نحو الحكم بحرمتهن على المؤمنين كما الأمهات، وذلك كرامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وليس لهن بحال.

ولقد قال صاحب تفسير مجمع البيان عن تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾: المعنى أنّهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة، وتحريم النكاح ولسن أمهّات لهم على الحقيقة، إذ لو كنّ كذلك لكانت بناته أخوات المؤمنين على الحقيقة، فكان لا يحلّ للمؤمن التزويج بهن فثبت أن المراد به يعود الى حرمة العقد عليهن لا غير، لأنه لم يثبت شيء من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة، ألا ترى أنه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثون منهن. ولهذا قال الشافعي وأزواجه أمهاتهم في معنى دون معنى، وهو أنهن محرمات على التأبيد، وما كنّ محارم في الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمّه فقالت لست لك بأمّ، إنّما أنا أمّ رجالكم، فعلى هذا لا يجوز أن يقال لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين

وخالات المؤمنين، قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر ولم يقل هي خالة المؤمنين[١].

وقال صاحب تفسير الميزان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ جعل تشريعي، أي أنّهن منهم بمنزلة أمهاتهم في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبي صلى الله عليه وآله ... فالتنزيل إنّما هو في بعض آثار الأمومة لا في جميع الآثار كالتوارث بينهن وبين المؤمنين والنظر في وجوههن كالامهات، وحرمة بناتهن على المؤمنين لصيرورتهن أخوات لهم، وكصيرورة آبائهن وأمهاتهن أجداداً وجدات وأخوانهن وأخواتهن أخواناً وخالات للمؤمنين[٢].

وجاء في تفسير روح المعاني: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: أي منزلات منزلة أمهاتهم في تحريم النكاح واستحقاق التعظيم، وأمّا عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن وإرثهن ونحو ذلك فهن كالأجنبيات، وفرع عن هذ القسطلاني في (المواهب) أنّه لا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين في الأصح، وفي «المواهب» أنّ في جواز النظر إليهن وجهين أشهرهما المنع، ولكون وجه الشبه مجموع ما ذكر

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج٨ ص٤٣٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج١٦ ص٢٧٧.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لامرأة قالت لها يا أمّه: أنا أمّ رجالكم لا أمّ نسائكم، أخرجه ابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه عنها، ولا ينافي هذا استحقاق التعظيم منهن أيضاً[1].

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: عطف على حقوق النبي صلى الله عليه وسلم حقوق أزواجه على المسلمين لمناسبة جريان ذكر حق النبي عليه الصلاة والسلام فجعل الله لهن ما للأمهات من تحريم التزوج بهن بقرينة ما تقدم من قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأحزاب٤.

وأمّا ما عدا حكم التزوج من وجوه البرّ بهن ومواساتهن فذلك راجع إلى تعظيم أسباب النبي صلى الله عليه وسلم وحرماته[2].

وقال الرازي في تفسيره: ثم قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ تقريراً آخر، وذلك لأن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما جعلها الله تعالى في حكم الأمّ،

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج٢١ ص٢٠٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، بدون سنة طبع: ج٢١ ص١٩٤.

إلّا لقطع نظر الأمّة عمّا تعلق به غرض النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا تعلق خاطره بامرأة شاركت الزوجات في التعلق فحرمت مثل ما حرّمت أزواجه على غيره... والمعقول في جعل أزواجه أمهاتنا هو أنّ الله تعالى جعل زوجة الأب محرّمة على الإبن، لأن الزوجة محل الغيرة والتنازع فيها، فإن تزوج الإبن بمن كانت تحت الأب يفضي ذلك الى قطع الرحم، والعقوق، لكن النبي عليه الصلاة والسلام أشرف وأعلى درجة من الأب وأولى بالإرضاء، فإن الأب يربي في الدنيا فحسب، والنبي عليه الصلاة والسلام يربي في الدنيا والآخرة، فوجب أن تكون زوجاته مثل زوجات الآباء[1].

وبعد أن استعرضنا آراء وتفاسير متنوعة بهذا الخصوص، علينا أن لا يتبادر الى ذهننا، بأنّ وصف أمهات المؤمنين، أو عندما نسمع بأن فلانة هي أمّ المؤمنين، أن لها أفضلية على المؤمنين، أو أنّها امتازت ببعد تكاملي استحقت أن تكون به أمّاً للمؤمنين، فأصبحت أفضل من جميع المؤمنين، فهذا أمرٌ بعيد، ويبقى كلّ انسان وعمله وعطاءه، ونيته هي التي تحدد هويته وعلوه الإيماني

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤ – ٦٠٤هـ)، قدّم له هاني الحاج، حققه وعلّق عليه وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون سنة طبع: ج٢٦ ص١١٧.

أو تسافله والعياذ بالله.

وعليه عندما تلفظ الرسول صلى الله عليه وآله بهذه الكنية، لم يكن مقصوده أن تكون قبال وصف أمهات المؤمنين، وليأتي بعدها التفاضل والمقارنة بين اللفظين أو الكنيتين، فهذا وهم بعيد المنال، ولا يمكن أن يصدر من الرسول صلى الله عليه وآله بهذا القصد أبداً.

فالكنية التي أطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله بحق فاطمة الزهراء عليها السلام، كنية استحقاق، وأمّا ما جاء في وصف زوجات النبي، فهو قول على وجه التشريف والتبرك، لإتصالهن بنحو من الاعتبارات بمقام النبوة ليس إلّا. ولذلك لن يعصمهن هذا القول من الحساب والعقاب، فيما إذا ما أقدمت إحداهن على فعل ذنب معين أو تقصير في جانب ما. وهذا ما بيّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسر النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ* عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾ التحريم ٣-٥.

وقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيماً﴾ الأحزاب ٣٠-٣١.

أما بالنسبة لفاطمة الزهراء عليها السلام فبهذه الكنية وغيرها من الكنى والأسماء، فقد أثبت الرسول صلى الله عليه وآله عصمتها وعدم جريان الأخطاء أو الذنوب عليها ولن تنال من ذاتها القدسية شيئاً.

بعض الآراء التي حاولت بيان معنى أم أبيها

الآن سننقل بعض الآراء التي حاولت بيان معنى قول الرسول صلى الله عليه وآله لإبنته فاطمة عليها السلام عندما كان يكنيها «بأمّ أبيها» ثم بعدها نحاول أن نعطي مفهوماً جديداً لهذه الكنية المباركة.

قال صاحب كتاب اللمعة البيضاء: ولما كانت فاطمة الزهراء عليها السلام في الدائرة العليا مظهر آثار تلك الأنوار العالية، ومحل تفاصيل الآثار العلوية، صارت أمّاً بالنسبة إليها في هذه الدورة، لأنّ أول ما خلق الله هو الحقيقة المحمدية، كما تقرر في الأخبار المروية، وهي مظهر الفيوضات الإلهية بالذات لا بالواسطة، ثم علي عليه السلام بوساطة الحقيقة المحمدية، ثم الأئمة عليهم السلام بوساطة الحقيقة العلويّة، ثم فاطمة (عليها السلام) بوساطة الأئمة.

فهم كالحديدة المحماة بنار أمر الله الموقدة التي تطّلع على أفئدة هؤلاء الكرام البررة، وتفيض تلك الفيوض الربانية، والآثار الإلهية بوساطتهم إلى سائر الوجودات الكونية، والواسطة بينهم وبين من دونهم من النبيين والآدميين والملائكة والجن أجمعين، والحيوان والنبات والجماد، هو فاطمة الزهراء لوقوعها في آخر تلك السلسلة، وكونها الجزء الأخير من العلّة التامة، فلها مظهرية كاملة بالنسبة إلى آثار تلك الأنوار العالية، وجهة تربية وتقوية لها

بالنسبة إليهم من حيث كونها مظهر آثارهم، ومطرح أطوارهم، كما أنّ لها تربية وتقوية وأمّيّة كاملة إلى من دون تلك السلسلة العالية، آدم ومن دونه ومن فوقه في العوالم الباطنية والظاهرية...[1].

ويقول صاحب كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ولعل... تكنيتها بأمّ أبيها هو أنّه صلى الله عليه وآله يعاملها عليها السلام معاملة الولد أمّه، وأنّها تعامله معاملة الأمّ ولدها، كما أنَّ التاريخ يؤيد ذلك والأخبار تعضّده، ففي الأخبار الكثيرة أنه صلى الله عليه وآله يقبّل يدها ويخصّها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة المشرفة ويودّعها منطلقاً عنها في كل أسفاره ورحلاته، وكأنّه يتزود من هذا النبع الصافي عاطفة لسفره، كما يتزود الولد المؤدّب من أمّه. وتلاحظ من جهة أخرى أن فاطمة الزهراء عليها السلام تحتضنه، وتضمد جروحه، وتخفف من آلامه كالأمّ المشفقة لولدها. وبالجملة كلّ ما يجده الولد في أمّه من العطف والرقّة والشفقة والأنس فهو صلى الله عليه وآله يجده في فاطمة عليها السلام وكأنّها أمّه.

ثم يعطي رأياً آخر فيقول: أو أنّ الله عزّ وجلّ لمّا شرف وكرّم أزواج النبي صلى الله عليه وآله بتكنيتهن بأمّهات المؤمنين صرن في معرض أن يخطر ببالهنّ

---

(١) اللمعة البيضاء، مصدر سابق: ص١٢٥.

أنهن أفضل النساء حتى من بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولأجل ذلك كنّاها أبوها بأمّ أبيها صوناً لهذه الخواطر والوساوس، يعني يا نساء النبي إن كنتنّ أمّهات المؤمنين، ففاطمة عليها السلام أمّ النبي، أمّ المصطفى، أمّ الرسول، أمّ أبيها.

ثم يقول: ويمكن أن يراد بهذه التكنية معنى أدق وأعمق من الأول والثاني وإن كان الأول هو الأظهر، وهو: أنّ أمّ كلّ شيء أصله ومجتمعه كما صرح به أهل اللغة، كأمّ القوم وأمّ الكتاب وأمّ النجوم وأمّ الطرق وأمّ القرى وهي مكّة شرفها الله تعالى، وأمّ الرأس، وأم الدماغ و ... فعليه يمكن أن يقال: إنّه صلى الله عليه وآله أراد منها أن ابنتي فاطمة هي أصل شجرة الرسالة وعنصر النبوة، كما قال الباقر عليه السلام: الشجرة الطيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وفرعها علي عليه السلام وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتها.

وكما أنّه لولا العنصر يبست الشجرة وذهبت نضرتها، فكذلك لولا فاطمة لما اخضرت شجرة الإسلام، فإن الشجرة تسمو وتنمو بتغذيتها من أصلها، وشجرة الشريعة الحنيفية قد سمت ونمت بمجاهداتها ودفاعها عن إمامها وبعلها الشريف المظلوم ومجاهدات أولادها وتضحيّاتهم، لاسيما شبليها الكريمين، فإن الحسن عليه السلام بصلحه أبقى شجرة الإسلام ومنعها

من الاصطدام، والحسين عليه السلام بإبائه عن البيعة وبذل مهجته الشريفة سقاها وربّاها، ولولا صلح الحسن وقيام الحسين عليهما السلام ليبست شجرة الإسلام وما قام لها عود ولا اخضر لها عمود. ولا يخفى أنّ أصل الحسن والحسين عليهما السلام أمّهما فاطمة الزهراء عليها السلام، ولولاها لم يكن أبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام[1].

ويقول صاحب كتاب الأسرار الفاطمية: إنّ رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لابد لها من امتداد يمثلها في كافة جوانبها ويعطيها التفسير الصحيح وهذا لم نجده إلّا من خلال الإمتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله المتمثل في ذريته من فاطمة عليها السلام، لذا كان الرسول يقول: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا) أي أن الحسين ابني وامتدادي الطبيعي فهو قرّة عيني وثمرة فؤادي وفي نفس الوقت أنا من حسين، وعليه فإن هذا الحديث يحدد المفهوم الذي أراده من هذا الحديث أي بدقة متكاملة وبتمعن نرى أن هذا الأمر يعني استمرار الرسالة السماوية وإحياء معالم الدين والعقيدة إنّما هو بوجود الحسين وذرية فاطمة من الأئمة المعصومين، لذلك قيل إن الدين الإسلامي محمدي الوجود حسيني البقاء وهذا ما نراه في

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، نشر المنير، قم، ط٣، ١٤٢٠هـ: ص٢٠٤و٢٠٥.

التضحية التي قدمها الحسين يوم عاشوراء ...

وعلى هذا الأساس يكون معنى أمّ أبيها إن استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن الكريم وعقائده ومناهجه إنّما يكون بواسطة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن خلال ذريتها ، وهذا ما كان يراه الرسول في فاطمة من خلال تطلعه الى آفاق المستقبل الذي سيكون لولد فاطمة فكان يكرمها ويحترمها ويقول لها مرحباً بأمّ أبيها[1].

وجاء في كتاب الوراثة الإصطفائية لفاطمة الزهراء: ومما يشير الى حجية فاطمة عليها السلام وولايتها، الكنية التي أطلقها الرسول صلى الله عليه وآله من أنّ فاطمة أم أبيها، حيث أنّ هذه الكنية يمكن أن تفسر بأن حقيقتها حقيقة ليلة القدر ...، فإن الأمّ والأمومة يستعمل بمعنى الأصل، فأم الشيء أصله.

ثم يقول: وقد ذكر بعض الأعلام المحققين أنّ المراد من كونها ليلة القدر، هو أنها النفس الكلية، وهذا المعنى وإن لم ينسجم مع الروح الأمري، الذي هو من عالم الملكوت وعالم الأمر، والذي هو عماد المصدر الذي يتنزل منه التقدير ليلة القدر من القضاء، إلّا أنّه على أي تقدير مقتضاه إرتباط النفس الجزئية، والنفوس الجزئية في الأنبياء بتلك النفس الكلية، واستمدادها الفيض من الله

---

(١) الأسرار الفاطمية، مصدر سابق: ص٢٧٣.

تبارك وتعالى عَبْرَها.

فمن ثمّ يكون للنفس الكلية أمومة النفس الجزئية. هذا فضلاً عما لو فُسرت بروح القدس الذي هو من عالم الأمر، والذي هو الكتاب الذي على معرفته دارت معارف الأنبياء، وانبعث معارفهم، فإن أمومة الكتاب حينئذ أوضح وأظهر أيضاً.

وهذا لا يتنافى مع كون سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله له مقام الأبوّة، بلحاظ مقامه النوري حيث اشتق منه نور فاطمة عليها السلام[1].

---

(١) الوراثة الإصطفائية لفاطمة الزهراء، تقريراً لأبحاث المحقق آية الله الشيخ محمد السند، بقلم السيد محمد صالح الموسوي التبريزي، نشر دار الأميرة، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ص٣٢٣ - ٣٢٤.

أسباب أخرى محتملة حول هذه الكنية المباركة

يمكن لنا أن نضيف بعضاً من الأسباب المحتملة لهذه الكنية التي ذكرناها فيما سبق، عساها أن تزيد في فهم ومعرفة الدلائل التي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله ايصالها للمسلمين من خلال بيان نوع العلاقة والرابطة بينه وبين فاطمة الزهراء صلوات الله عليهما. وقد تبدو بعض من هذه الأسباب مشابهة لما ذكر سابقاً، ولكن بالنظرة الدقّية سوف نجد هناك فرقاً واضحاً بين السببين أو الإحتمالين.

وعموماً تبقى هذه الأسباب مجرد أطروحات وإحتمالات، قابلة للمناقشة سواء في القبول أو الرفض، وهي محاولة جادة لإزالة بعض الغموض والرمزية التي تدور حولها، وما ذلك إلّا لمعرفتنا بأن وراء كل فعل أو قول للمعصومين عليهم السلام هناك قصد وغايات، علينا معرفة الممكن منها، والتعامل على ضوئه بالأمور الشخصية والاجتماعية العامة للمسلمين وغيرهم.

السبب الأول:

عندما يسمع السامع بلفظ الأمّ، ينتقل ذهنه فوراً الى معنى الحنان والعاطفة والخوف والحب من الأمّ لأبنائها، حتى يمكننا القول بأنه لا يوجد في هذا الوجود الإمكاني أحدٌ يحبك، ويعطف عليك، ويخاف عليك أكثر من أمّك.

هذا الأمر هو الماثل بيننا والحاضر في تعاملنا اليومي، بل هو المعطى الأساسي في كل مفردة تتشكل من خلال علاقة الأمّ بأولادها، وهذا الشيء موجود حتى عند الحيوانات والكائنات الأخرى، إلّا من شذ عن هذه الفطرة والخلقة.

بحيث أصبحت الكثير من الأمّهات، أو الغالب منهن تفني وجودها من أجل وجود ابنائها، واستمرار حياتهم، وترفض أي استمرار لها وسعادة، من دون استمرار أبنائها وسعادتهم.

هذا المعنى بكل جوانبه ومتعلقاته كان عند فاطمة الزهراء عليها السلام، وزيادة لا يمكن أن توضحها الألفاظ، وتحيط بحدودها الأذهان، بحيث أنّ ما تحمله الأمّ تجاه ابنائها، كانت تحمله فاطمة تجاه أبيها صلى الله عليه وآله. وبذلك أشار الرسول الى نكتة مهمة بل في غاية الأهمية وهي:

لا يوجد أحد في هذا الوجود قد وصل الى هذا المقام في حبه وخوفه، وعاطفته وحنوه على رسول الله بمثل ما وصلت إليه سلام الله عليها، بحيث مهما كانت همته عالية وبذل في سبيل الوصول لهذا الأمر غاية المجهود، لم يستطع ولم يجد الى ذلك سبيلا. وسيبقى دون هذا المقام حتى لو ظن بأنّه قد وصل لذلك فهو واهم، وهو أدنى من ذلك بكثير.

والحقيقة أنّ الله تعالى أراد من المؤمنين أن يتجاوزوا هذه الجبلة، أو هذه الفطرة في حال تعاملهم مع الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، بحيث يكون ذلك الحب والتعلق بين أفراد العائلة الواحدة، ليس له قيمة ولا يقاس بمقدار الحب والتعلق بالرسول وأهل بيته عليهم السلام، وفي ذلك جاءت أحاديث وروايات كثيرة تحث وتمتدح هذا الجانب السلوكي، إذا ما أراد الفرد أن يفني حياته فيه، نذكر من هذه الروايات والأحاديث ما يلي:

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين[1].

- عن الرسول صلى الله عليه وآله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وأهلي أحبَّ إليه من أهله، وعترتي أحبَّ إليه من عترته، وذريتي أحبَّ إليه من ذريته[2].

أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وتكون عترتي إليه أعزّ من عترته، ويكون أهلي أحبَّ إليه من أهله،

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، نشر دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ج٢ ص٦٨٢ نقلاً عن كنز العمال ص٧٠.

(٢) نفس المصدر: ج٢ ص٦٨٢ عن كنز العمال ص٩٣.

وتكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته[1].

السبب الثاني:

نحن نريد الآن أن ننظر الى هذه الكنية من جهة معاكسة، غير جهة نظرنا في كيفية تعامل فاطمة الزهراء عليها السلام مع أبيها، أو قل لا نريد أن ننظر الى ما قدّمته الى الرسول صلى الله عليه وآله أو ماذا يمثل رسول الله عندها سلام الله عليها، بحيث استحقت هذا اللقب.

فنحن نريد أن ننظر الآن الى جهة الرسول صلى الله عليه وآله، وما مدى قيمة فاطمة الزهراء عليها السلام عنده وما يمثله وجودها بين يديه حتى كنّاها بأمّ أبيها.

وحينئذ يمكن لنا أن نقول:

كنّاها بهذه الكنية لتكون أمّاً له على وجه الحقيقة في تعامله معها، بحيث يكون بارّاً بها ومحسناً إليها غاية الإحسان، ولينال بذلك درجات في العلو والرقي تضاف إليه صلى الله عليه وآله، وإن كانت درجاته في مقام لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) نفس المصدر: ج٢ ص٦٨٢ عن علل الشرائع.

وهذا البرّ والإحسان هو عينه البرّ والإحسان فيما لو كانت والدته سلام الله عليها على قيد الحياة، وفي ذلك الموقف وتلك اللحظات، فتصور كم سيكون صلى الله عليه وآله بارّاً بأمّه، وكم ستنال من العناية والاهتمام منه، فهذا التصور قد أسقطه في تعامله مع ابنته فاطمة الزهراء، لتكون هي المصداق القابل لعطاء العطف والحنان من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله. كيف لا وهو بهذه الحالة يترجم مفردات القرآن ويطبق ما يقوله، وكما جاء في قوله تعالى حول الوالدين: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ الإسراء٢٣، وكذلك قوله تعالى: ﴿...**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** ...﴾ مريم٣٢، وكقوله صلى الله عليه وآله: (الجنّة تحت أقدام الأمهات).

فأراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يرسم صورة، ويعطي موقفاً لا يفارق المسلمين حول تلك العلاقة، فعليهم أن يراعوا تلك الصورة وأن لا يؤذون من كان الرسول يعاملها معاملة الإبن مع أمّه، من ناحية المداراة والخدمة والبرّ بأنواعه، وذلك لأنه علم بما ستؤول إليه الأمور، من سوء عاقبة القوم، وهم يعاملون تلك الريحانة الإلهية بقسوة الإرهاب وشدّة التعصب.

السبب الثالث:

بما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله يمثل الرسالة الإسلامية ببعدها الإلهي

الخالص، فعندما يرحل عن عالم الدنيا من دون أن يترك أثر الإستمرار، وفاعلية الإمتداد لهذه الرسالة العالمية عبر الأجيال، سوف تموت وتنتهي معالمها شيئاً فشيئاً.

ولذلك فهي تحتاج الى مقومات البقاء والاستمرار والحيوية والتجدد، حفاظاً عليها من الضياع، فكان لابد من ولادة جديدة تعيش في ثنايا هذه الحياة، لتبني على أسس الرسالة ثوابت الإمامة، التي تأخذ بيد البشرية الى مستقبلها الموعود وهدفها المنشود من التخطيط الإلهي العام لهذا الوجود.

فكانت فاطمة الزهراء عليها السلام أُمّاً حقيقية للرسالة، بعد أن أنجبت الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، باعتبارهما الممثلان الواقعيان للرسول ولأمير المؤمنين بعد استشهادهما، فهي أمّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله بهذا الاعتبار، مادام أمر الرسالة وبقائها واستمرارها مرهون بالحسن والحسين عليهما السلام، وما كان الحسن والحسين ليكونا لولا وجود الزهراء وأمومتها لهما.

إذن يفهم من ذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما كنّى فاطمة الزهراء بأمّ أبيها، أراد أن يقول بأنّها أمّ الرسالة الإسلامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وما يترتب عليه من آثار وحينئذ يمكن لنا أن نقول:

أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام مُعَدّة في هذا الوجود أصلاً، لأن تكون أمّاً لإيجاد الحسن والحسين، ولا يمكن لغيرها أن تكون لها قابلية أداء ثقل هذا الدور وتوابعه.

وعلى هذا الأساس ولو على سبيل الأطروحة، إنّ عمر فاطمة الزهراء القصير الذي لم يتجاوز الثامنة عشر كان لأسباب نذكر منها مايلي:

الأول:

إنّها سلام الله عليها قد أنجبت الحسن والحسين عليهما السلام، وبذلك بذرت بذرة الإمامة في هذا الوجود، فكانت أمّاً واقعية لمن سيمثل الرسالة في بقائها واستمرارها.

الثاني:

إنّها بقيت سلام الله عليها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله تلك الفترة القصيرة أيضاً من أجل الحفاظ على شخص الرسالة الأول بعد محمد صلى الله عليه وآله المتمثل بأمير المؤمنين، فدافعت عنه دفاعاً لولاه لتمكنوا من إيجاد الأعذار الشيطانية للقضاء عليه، وخصوصاً أنّهم قد ضيقوا عليه الخناق بشكل لا يمكن الخروج منه، إلّا من خلال ذلك الموقف البطولي لفاطمة الزهراء عليها السلام وهي تخطب في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، تلك

الخطبة التي كان ظاهرها المطالبة بفدك، ولكن باطنها كان كله من أجل الإمامة وبيان أحقية صاحبها بعد الرسول صلى الله عليه وآله[1].

وفي هذه الحالة كانت سلام الله عليها أيضاً أمّاً لإستمرار الرسالة والإمامة، المتمثلة بعلي عليه السلام بسبب حفاظها عليه، ولولاها لما كان هناك استمرار له في تلك الظروف القاسية، ولكن سبحان الله الذي يجري الأمور ويقدر الأقدار بأسبابها. وكثيراً ما يجعل عزّ وجلّ عوامل البقاء، والحفاظ على الأشياء من الأمور التي لم يلتفت إليها.

الثالث:

بعد أن أدت سلام الله عليها هذين الدورين على أكمل وجه وأتمّه، فعليها أن تلتحق بمن كانت هي بضعته وقلبه وروحه التي بين جنبيه، فإنّها لا تطيق فراقه ولا تتحمل بعده الدنيوي عنها، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله معها بهذه الصورة، لكونها سلام الله عليها قد شكلت له إرتباطاً خاصاً مع الله، ولذلك كان له شدّة تعلق بالزهراء، لم يكن له نفس الحضور مع الأخرين.

فعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) ينظر دفاع عن فاطمة الزهراء، مصدر سابق.

قالت وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها...)[1].

وعن عائشة أيضاً: إن النبي صلى الله عليه وآله قبّل يوماً نحر فاطمة عليها السلام، فقالت له: يا رسول الله فعلت شيئاً لم تفعله فقال: يا عائشة إنّي إذا اشتقت الجنة قبّلت نحر فاطمة[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة عليها السلام، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها[4].

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مصدر سابق: ج٣ ص١٥٢ نقلاً عن صحيح الترمذي ج٢ ص٣١٩.

(٢) نفس المصدر: ج٣ ص١٥٥ نقلاً عن ذخائر العقبى ص٣٦.

(٣) نفس المصدر: ج٣ ص١٥٨ نقلاً عن صحيح أبي داود ح٤٢١٣.

(٤) نفس المصدر: ج٣ ص١٨٣ نقلاً عن كنز العمال ج٦ ص٢١٩. و (الشجن) كما في نهاية غريب الحديث: الرحم شجنة من الرحمن أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق،=

ولذلك فإن فاطمة الزهراء أمانة الرسول ووديعته في أمّته، ولعدم صون هذه الأمانة من قبل الأمّة، فحينئذ يجب أن تعود الى صاحبها، فكانت سلام الله عليها أول من التحق بالرسول بعد رحيله عن هذه الدنيا بحيث لم تمكث بعده إلّا ستة أشهر على أكثر التقادير، والذي يدلّ على هذا الأمر هو الفرحة والسعادة التي غمرتها عندما أسر لها الرسول صلى الله عليه وآله أمراً وهو على فراش المرض، واعتبرته بشارة فضحكت بالرغم من أنّها كانت في غاية الحزن والبكاء على أبيها صلى الله عليه وآله، حيث جاء عن عائشة قالت: دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارّني النبي صلى الله عليه وآله فأخبرني أنّه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أنّي أول أهل بيته أتبعه فضحكت[1].

بالرغم من اننا نعلم أنّ من يبشر بالموت سوف يحزن ويغتم وتضيق في عينه الدنيا بما رحبت، وهذا الأمر جاري حتى عند أكابر المؤمنين، بل حتى عند بعض الأنبياء، عندما جاءهم ملك الموت جزعوا وطلبوا الإمهال والتأجيل،

=وأصل الشجنة بالكسر والضم شعبة في غصن من غصون الشجرة، ومنه قولهم (الحديث ذو شجون) أي ذو شعب وامتساك بعضه ببعض.

(١) نفس المصدر: ج٣ ص١٨٩ نقلاً عن صحيح بخاري في كتاب بدء الخلق.

بالرغم من كبر قدرهم وعظيم شأنهم وخطورة أمرهم. وفي هذا الشأن يذكر العلّامة الأربلي: إن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت، مطبوعة على النفور منه، محبّة للحياة، مائلة إليها، حتى الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله تعالى ومنازلهم من محالّ قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهي إليه أمورهم، أحبّوا الحياة ومالوا إليها، وكرهوا الموت ونفروا منه.

وقصة آدم عليه السلام مع طول عمره وامتداد أيام حياته معلومة. قيل: إنه وهب داود عليه السلام حين عرضت عليه ذريته أربعين سنة من عمره فلما استوفى أيامه وحانت منيته وانقضت مدة أجله وحم حمامه، جاءه ملك الموت يقبضه نفسه التي هي وديعة عنده، فلم تطب بذلك نفسه وجزع وقال: إنّ الله عرّفني مدّة عمري، وقد بقيت منه أربعون سنة، فقال: إنك وهبتها ابنك داود، فأنكر أن يكون ذلك.

ونوح عليه السلام كان أطول الأنبياء، أخبر الله تعالى عنه أنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاما، فلما دنا أجله قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ فقال: كدار ذات بابين، دخلت في باب وخرجت من باب. وهذا يدل بمفهومه على أنّه لم يرد الموت ولم يؤثر مفارقته... وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى، ذات أولاد صغار وبعل كريم، لم تقض من الدنيا إرباً وهي في غضارة عمرها

وعنفوان شبابها، يعرّفها أبوها أنها سريعة اللحاق به، فتسلوا موت أبيها صلى الله عليه وآله وتضحك طيّبة نفسها بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها، فرحة بالموت، مائلة إليه، مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، وهذا أمر عظيم لا تحيط الألسن بصفته، ولا تهتدي القلوب إلى معرفته...[1].

وهذا إن دلّ على شيء فيدل على عظمة روح فاطمة، وعلوّها على غيرها بمسافات لا يمكن الإحاطة بها، مضافاً الى قربها واندماجها بالرسول بحيث لم تتحمل فراقه صلى الله عليه وآله، حتى دقّ عودها، ونحل جسدها الشريف بعد الرحيل، بالرغم من قصر المدّة، ولذلك رحلت الى ربها لتلتحق بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ذلك الإلتحاق الذي بقي سراً على العالمين.

السبب الرابع:

كان للنبي موسى وعيسى عليهما السلام أُمّان، وقد أدّتا دورين مهمين في الحفاظ عليهما من بطش الظالمين، وكانت طريقة كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى، لكن بالنتيجة كانت آثار الضغط النفسي عليهن شديدة، وكلٌّ له مقدار من الشدّة يحتاج الى صبر طويل، وقوّة قلب لعبور تلك الشدّة، وأداء الدور على أكمل وجه وأتمّه، وخصوصاً إنّ هذا الأمر يأتي لثقل الأمانة التي

---

(١) كشف الغمة، مصدر سابق: ج٢ص٦٢و٦٣.

حملتها كلُّ واحدة منهن، وأهميتها القصوى في التواجد بتلك المرحلة من الزمن والبقعة من الأرض.

فأمّا دور أم موسى وحزنها وقلقها، فبدأ منذ ساعات الحمل الأولى، وكيف ستعالج الموقف لتحتفظ بوليدها ساعة الولادة، وعيون فرعون تترقب كلّ وليد، فإن كان ولداً يذبح، وإن كانت بنتاً يبقي عليها للإستحياء والخدمة، ولمّا جاء موسى عليه السلام تعلق قلبها به حد الجنون، وحينها يأتيها الوحي إلهاماً أو نتيجة رؤيا[1] ليقول لها اقذفيه في اليمّ. فما اصعب هذا الدور، فهل يتصور بأنّ أمّ تطرح وجودها بيديها، لتتخلى عنه مودعة إيّاه اليمّ بلا أمل سوى ذلك الوحي إنّا رادّوه إليك.

تم الموقف بهذه الصورة، لتكون تلك الأمّ التي حافظت على أمر النبوة وأبقتها سالمة من أن تتلقفها أيدي السلطان.

---

(١) جاء في تفسير الميزان المراد به الإلهام وهو نوع من القذف في القلب في يقظة أو نوم، والوحي في كلامه تعالى لا ينحصر في وحي النبوة كما قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ النحل٦٨، وأما وحي النبوة فالنساء لا يتنبأن ولا يوحى إليهن بذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ**﴾يوسف١٠٩، وقوله تعالى: ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ**﴾ الى آخر الآية هو مضمون ما أوحى الى أم موسى. الميزان ج١٤ص١٥٠.

وأمّا مريم عليها السلام فموقفها مع عيسى عليه السلام مختلف عن موقف أمّ موسى، فالموقف في الأول، كان هناك حمل مرغوب فيه وهو سنّة وأمر شرعي، ولكن فرعون أراد القضاء عليه خوفاً على سلطته. ولكن الأمر مع مريم عليها السلام كان مختلفاً، فمريم لم تك ذات بعل، ولكن الله جل جلاله اراد لها أن تحمل بعيسى دون أب، فكم كان الموقف صعباً عليها بحيث تمنت أن تموت قبل هذا، وتكون نسياً منسياً، فهي وإن كانت تتمنى أن لا تتعرض لهذا الموقف، وأن تبعد الوليد عن قومها خوفاً من الفضيحة وسوء الظن، لكن الله يأمرها بأن تذهب به لقومها ولتواجههم به، وهو الرضيع الذي سيكلم القوم في المهد صبياً، بعد أن أمرها بأن تصمت ولا تكلم إنسيا.

موقفان من هاتين المرأتين العظيمتين يحير كلّ منهما العقول عن إدراك كنه أسباب الإختيار والإختبار، التي تحرك الشواخص لما يريد الباري منها.

فموقف شرعي ومألوف بطبعه تخاف أن تظهره أُمّ موسى، خوفاً من أن يقتل، فتؤمر بأن تبعده عنها بإلقائه في اليمّ.

والآخر موقف غير مألوف وليس هو بالطبيعي، بل يجلب العار للوهلة الأولى، فتؤمر بأن تأتي به لقومها تحمله بين يديها، ولا تحاول التخلص منه، موقفان في غاية العجب والغرابة، ولكن بهذه الغرابة والتعجب امتازت تلك

المرأتان عن غيرهن من النساء، فارتفعن بسبب أدائهن للدور بمنتهى الإتقان، فأي نفوس هذه التي حملت تلك الرسل – إثنان من أولي العزم – بل كيف يجري سبحانه الأمور، وكيف يركب الأسباب، ليخرج ما يريد من المتضادين قيمة رسالية تناسب الموقفين وكأنّهما وليين حميمين.

ماذا قدمت فاطمة الزهراء لتكون أمّاً لأبيها قبال أمومة أم موسى وأم عيسى؟

والآن لنأتي لفاطمة الزهراء عليها السلام أُمّ أبيها، فماذا قدّمت وماذا فعلت لتكون أمّاً لأبيها، قبال أمومة أمّ موسى وأمّ عيسى سلام الله عليهم أجمعين؟

ويمكن أن نوضح ذلك بالنقاط الآتية ولتكن على شكل اطروحة جديدة تمد على بساط هذه الكنية المقدسة:

أولاً:

كنّى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام بأمّ أبيها لتكمل سلسلة التكامل، الذي بدأت به أمّ موسى بمستوى معين، لتأتي بعدها أمّ عيسى عليها السلام لتصعّد من أثر هذه الأمومة الى سقف تكاملي أعلى، بحيث تسيدت به نساء عالمها، ومن ثم أتت فاطمة الزهراء لتكمل هذه

الأمومة بمستوى تكاملي أعلى من السابقتين، لأنها أصبحت أمّاً لأفضل الأنبياء.

ثانياً:

قد يظن بعض من الناس أنّ أمهات الأنبياء، وخصوصاً اللواتي ذكرهن الله تعالى في كتابه الكريم، أنّهن من أفضل النساء، على اعتبار اختيار أرحامهن الطاهرة لحمل شخص الرسالة، الذي من المعلوم أن لحواضنهم اختيار خاص، وحرص مكثف لإختيار المواصفات الأخرى، لأن المولود الذي سوف يأتي منها، سيكون أفضل ما على الأرض في زمن وجوده وتحركه، وحتى لا يذهب الى هذا الراي، وخصوصاً أصحاب الديانات الأخرى، فخاطب الرسول صلى الله عليه وآله تلك العقول التي تتحرك بهذا الشعور، وأطلق كنية أمّ أبيها ليتبدد هذا الهاجس ويلتفت الى هذه الأمّ الرسالية الجديدة التي على الكل الإغتراف من بحر جودها الأبدي.

ثالثاً:

إنّ أمّ موسى أمرها كان غريباً عند حملها بموسى عليه السلام، حيث جاء في بعض الروايات عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى لما حملت به أمّه لم يظهر إلّا عند وضعه، وكان فرعون قد وكّل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط

يحفظنهن، وذلك أنّه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنّهم يقولون إنّه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران أن يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده ... القصة[1]، ثم أوحى لها ربها بأن تلقيه في اليمّ، ثم قال لها عزّ وجلّ لا تخافي ولا تحزني، إنّا رادّوه إليك بتلك الظروف التي تهتز لها قلوب الرجال فضلاً عن النساء، ثم ربط الله تعالى على قلبها، بعد أن كادت لتبدي به، ثم وقع بيد العدو الذي يبحث عنه لقتله، ولكنه بدلاً من ذلك تربى في بيته، فهذه الأمور كلها خارقة للأسباب التي تتواجد بيننا بحيث أصبح حكمنا على الأشياء، أو تفسيرنا وتحليلنا للظواهر والأحداث الخارجية مستنداً إليها.

أمّا أمر أم عيسى وطريقة حملها بعيسى عليه السلام، فهي من الواضحات من حيث غرابتها والطريقة غير المألوفة بالإتيان بولد من غير أب، فإذن أصبحت القضيتان الموجودتان فيهما أمّ موسى وأمّ عيسى غريبتين واعجازيتين من كل النواحي المحيطة بهما.

أمّا في قضية كنية فاطمة الزهراء بأمّ أبيها، فهي أيضاً بنظرةٍ دقية غريبة، وبها نوع من الاعجاز، أو قل من الأمور الباطنية التي حيرت العقول، كما

---

(١) تفسير القمي، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي من أعلام القرن الثالث، مراجعة وتحقيق الشيخ محمد الصالحي، قم، ط١، ١٤٢٨هـ: ص٤٥١.

احتارت في السابق وشكّت في مسألة الإتيان بعيسى دون أب.

فهناك إذن في مسألة أم أبيها بعداً اعجازياً أعلى من كلا الحالتين، اللتين حدثت مع أم موسى ومريم عليهن السلام.

فإذا كانت نظرة الناس الى موسى وعيسى عليهما السلام ترتبط بالإعجاز، الذي حصل في ولادتهما وكيفية نشأتهما، والدور المهم الذي مارسته كلا الأُمَّين في حماية ورعاية النبيّين العظيمين، فكذلك على الناس أن يلتفتوا بأن هناك دور مهم في إرتباط فاطمة الزهراء مع الرسول، وكيف أنها ساهمت في بقاء الرسالة وسلامتها ثم إستمرارها في هذا الوجود.

سيدة نساء العالمين

تساؤلات وفوائد

❖ ماذا يفهم من هذا القول؟

❖ تفسير العالمين.

❖ معنى الإصطفاء ودلالاته.

❖ الدلالات المستحصلة من هذا القول.

❖ ما هي الفوائد المترتبة من قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء بأنّها سيدة نساء العالمين؟

❖ كيف نعالج الروايات التي ورد فيها ذمّ النساء؟

❖ الإختلاف الوظيفي بين المرأة والرجل، واقعي أم سياق إجتماعي؟

ماذا يفهم من هذا القول؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثانية فأختارك على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثالثة فأختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطّلع الرابعة فأختار فاطمة على نساء العالمين[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: (وأما ابنتي فاطمة فإنّها سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين، .....)[2].

وجاء في بحار الأنوار: (إنّما سميت فاطمة محدّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** - يا فاطمة - **اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ آل عمران ٤٢ – ٤٣، فتحدثهم ويحدثوها،

---

(١) الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، نشر مؤسسة الأنوار الفاطمية، قم، ط٤، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ: ص١٦٤، نقلاً عن زين الفتى للحافظ العاصمي، وفاطمة الزهراء للعلامة الأميني، ص٤٣.

(٢) كلمة فاطمة الزهراء، السيد حسن الشيرازي قدس سره، نشر دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠م : ص٣٨، نقلاً عن أمالي الصدوق ص١١٣، ح٢.

فقالت لهم ذات ليلة:

أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟

فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين[1].

هذا الكلام الذي نقلناه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الزهراء عليها السلام علينا الوقوف بإرتكاز والتطلع الى ألفاظه وما أحتوى عليه من معاني سامية تقصّد الرسول صلى الله عليه وآله في إيصالها الى أصحاب البصائر ليرشفوا من رحيقها المختوم.

وإننا نتوقف أمام هذا القول المبارك لأننا نعلم بأن أقوال المعصومين عليهم السلام حجة علينا فكيف بقول الرسول نفسه، وما دام هذا القول حجة، إذن يفهم من ذلك عدّة أمور منها:

أولاً:

إن الرسول صلى الله عليه وآله عندما يلفظ قولاً معيناً فإنه يلزم من ذلك وجود أهداف وغايات من ورائه، وخصوصاً إذا ما علمنا بأن قول المعصوم

---

(١) نفس المصدر، نقلاً عن بحار الأنوار ٧٨\٤٣ عن علل الشرائع: ص٦٤.

يلازمه المراد الجدي ولا ينفك عنه هذا المراد، كونه لم يكن لحظة هازلاً وغير جاد في أقواله وأفعاله.

فما دام الأمر كذلك فعلينا أن نعرف المقدار الحركي والبعد العملي من وراء تلك المقولة وما هو أثرها في الأمة الإسلامية، بل وفي العالم ككل.

ثانياً:-

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي السيدة الوحيدة التي تقلدت هذا اللقب من دون النساء الأخريات في هذا الكون بأجمعه ومن عالم البدء والتكوين وحتى عالم الآخرة وصفحات الجنان. فهي السيدة الأولى التي تسيدت بلا منازع بعد أن تجلببت بجلباب روح الرسول وقلبه والبضعة الإلهية التي بين جنبيه.

وإن قيل أنّ مريم البتول قد سبقت فاطمة الزهراء بهذا اللقب، نقول نعم، ولكن لقبها كان مختصا بنساء زمانها التي هي بين ظهرانيهن، ولنا إن شاء الله تعليقة حول هذا الأمر في الصفحات القادمة وسنوضح الصورة بشيء أكثر تفصيلا.

المهم فعندما تكون فاطمة الزهراء هي سيدة نساء العالمين علينا أن نلتفت الى أن هذا اللقب لم يكن تشريفياً وتبركياً فقط، وإنّما هو في حقيقته وصدوره

يعني مثيراً أصدره الرسول صلى الله عليه وآله ليكون نظر نساء العالمين إليه، حتى يعملن ويتصفن ويتحلن بما تريده سيدتهن في هذا الوجود، وليس لمجرد التبرك وتحريك اللسان بألفاظه وحروفه.

ثالثا:

يعطي قول سيدة نساء العالمين مفهوماً عاماً ينطبق على جميع المصاديق التي تندرج تحت هذا العنوان ولجميع العوالم مهما تكثرت وتعددت، ولا يمكن لأي عالم أن يكون له قدرة الإنفلات من خيمة هذا المفهوم العام، ليعطي بالتالي أو يتمخض عن سيدة تكون في عرض تسيد الزهراء عليها السلام.

رابعاً:

ما دام أن الزهراء عليها السلام قد استحقت هذا القول بجدارة، فيدل ذلك على أنّها تمتلك القابلية والمؤهلات والاستعداد الكامل لقبول هذا الفيض، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله لا يتكلم بلسان العاطفة والوجدان، ولا تكتب أقواله بقلم السهو والنسيان، وكما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ الحاقة ٤٤ – ٤٦. إذن فهي سلام الله عليها تمتلك تلك القابليات والمؤهلات التي استحقت من خلالها هذا اللقب. وبالتالي تلك الإمكانات يجب أن توظف في محيط المجتمع

الإنساني، فمن غير المعقول أن تكون كلها حبيسة عند الزهراء عليها السلام من دون أن تفعل فعلها في عالم الخارج ولتساهم بالتالي في تقدم عجلة التكامل البشري.

تفسير العالمين

وعلينا الآن قبل الشروع في شرح هذا الحديث الشريف وبيان مداليله ومراميه والبواعث التي تصدر تجاهه من قبل النساء أو حتى الرجال في بعض المواقف والاعتبارات التي تخصّهم وترجع إليهم، أن نعرّف ونبيّن المعنى المراد من لفظ العالمين، لكي نتمكن من الوصول بمقدار معتد به للمعنى المطلوب، علماً أنّ هذا اللفظ قد ذكر في القرآن الكريم بما يقارب (٧٣) مرة. وقد جاء تعريفه في كتب اللغة:

والعالَم: الطّمش، أي الأنام، يعني: الخلق كلّه، والجمع عالمون[1].

وجاء في لسان العرب: والعالمون أصناف الخلق. والعالَمُ: الخلق كلُّه. وقيل: هو ما إحتواه بطن الفلك، قال العجاج:

فخندِقٌ هامة هذا العالم

---

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥ هـ)، نشر احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ص٦٧٦.

ولا واحد لهذا العالَم من لفظه، لأنه عالماً جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالَمٌ إسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة، والجمع عالمون، ولا يجمع شيء على فاعل بالواو والنون إلا هذا، وقيل: جمع العالم الخَلقِ العوالم[1].

وأمّا ما جاء في كتب التفسير:

قال صاحب مجمع البيان: (والعالمون) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لأنّه يدل على صانعه، وقيل إنّه من العلم، لأنّه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء، لأنهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات، وتدل عليه الآية ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وَمَا بينهما**﴾ وقيل أنّه اسم لكل صنف من الأصناف وأهل كل قرن من كل صنف يسمى عالماً ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان، وهذا قول أكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم. وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والإنس وقيل الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ وقيل

---

(١) لسان العرب، للعلامة ابن منظور، مراجعة وتصحيح نخبة من السادة والأساتذة المتخصصين، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م : ج٦، ص٤١٨.

هم الإنس لقوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وجاء في تفسير الميزان: (وأمّا العالمين): فهو جمع العالم بفتح اللام بمعنى ما يعلم به كالقالب والخاتم والطابع بمعنى ما يقلب به وما يختم به وما يطبع به، يطلق على جميع الموجودات وعلى كل نوع مؤلف الأفراد والأجزاء منها كعالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وعلى كل صنف مجتمع الأفراد أيضاً كعالم العرب وعالم العجم وهذا المعنى هو الأنسب لما يؤل إليه عدّ هذه الأسماء الحسنى حتى ينتهي إلى قوله مالك يوم الدين على أن يكون الدين وهو الجزاء يوم القيامة مختصاً بالإنسان أو الإنس والجن، فيكون المراد بالعالمين عوالم الإنس والجن وجماعاتهم ويؤيده ورود هذا اللفظ بهذه العناية في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ٤٢، وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ الفرقان ١، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف ٨٠[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس عشر، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه الفاضل السيد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م : ج١ ص٢٣و٢٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م : ج١ ص٢١.

وقال صاحب مواهب الرحمن: (العالمين) : جمع عالم وهو أيضاً جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر، واشتقاقه من العلامة بمعنى الدلالة فكل ما هو مخلوق علامة وآية كاشفة عن خالقه، كما أن كل معلول أو مصنوع علامة للعلّة أو الصانع والممكن علامة عقلية للواجب بالذات، فكل ممكن عالم من عوالمه عزّ وجلّ بذاته وكذا كل ما يتعلق من عوارضه وآثاره وخواصه من أدنى الموجودات الى أرقاها فجميع الموجودات عوالمه وجميع عوالمه آياته ويأتي في الأخبار تفسير العالمين بالجماعات. وعن جمع إنّ العالم لا يطلق إلّا على كل جماعة متمايزة لأفرادها صفات تقربها من العقلاء وإن لم تكن منهم وذاك لأن هذه العوالم هي التي يظهر فيها معنى الربوبية. وهو فاسد لأنه إن كان المراد به التغليب فله وجه، وإن كان المراد عدم الصدق الحقيقي على ما لا يعقل فهو مخالف لصحة إطلاق عالم التكوين فإن إطلاقه يشمل الجمادات أيضاً. وإن أثر التربية يظهر في كل ما يسمى شيئاً قال تعالى: ﴿**وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شيءٍ**﴾ الأنعام ١٦٤، فلا اختصاص للتربية بمن يعقل.

ثم إنّ معنى العالم ومدلوله وسيع جداً وغير محدود بحد، بل غير متناه فمن أقرب العوالم الى الإنسان عالم التراب الذي يكون محسوساً له وهو عظيم لم يتمكن الإنسان من إدراك جميع خصائصه وجهاته. مع أنه من أجلّ العوالم نفعاً، وكذا بالنسبة الى عالم الإنسان الذي كل من أراد فهمه لا يزداد إلّا تحيراً

فيه، وهكذا غيرها من العوالم، فليس للإنسان إلّا الإعتراف بالعجز والقصور أمام جلال عظمته تبارك وتعالى.

والعوالم تارة: تكون في نفسها مترتبة منظمة بأن يكون كل سابق مقتضياً للاحقه، فيصح أن يقال: أول ما خلق الله العقل في عالم الروحانيين والمجردات، كما في الحديث وأول ما خلق الله في عالم الماديات الماء، كما عن علي عليه السلام.

وأول ما خلق الله في عالم الأعراض الحروف، كما في بعض الأخبار الى غير ذلك مما ورد في أوليات خلق عوالمه تعالى، وللفلاسفة من الأقدمين بل ومن المسلمين مباحث علمية في بيان العوالم المترتبة (طولية) وقد أثبتوا ذلك بالبرهان.

وأخرى: لا ترتب بينها بل ينشأ جمع من تلك العوالم عن مبدأ واحد في عرض واحد، كما نشاهد ذلك في عالم الطبيعة.

وثالثة: تكون مركبة من القسمين كما هو المحسوس في عالم النطفة في صلب الرجال ثم سيرها الى الرحم ومجيئها الى هذا العالم، وكذا كل ما هو في مسير الإستكمال والإرتقاء، وتسمى هذه العوالم الطولية، وفي عرض ذاك عوالم أخرى إن لوحظت مع نظيرها. وهناك عوالم طولية أخرى يمر الإنسان عليها

وهي عالم الدنيا، وعالم البرزخ، وعالم النشر والحشر، وعالم الخلود.

نعم هنا بحث وهو أن العوالم هل هي متعددة حقيقة أو أنّ تعددها إعتباري محض؟ عن بعض المحققين من المتألهين أنّ العالم واحد وهو عالم الدنيا وغيره من عوالم البرزخ والحشر والنشر والخلود من تبعاتها وشؤونها فتكون الدنيا كالمادة للجميع السارية فيها فيكون العالم واحداً حقيقة)[1].

ويقول صاحب تفسير الفرقان : (والعالمين) هم الخلق أجمعين وهو جمع العالم من العلم العلامة، أو من العلم المعرفة، وكل العالم علامة للخالق وآية، وكل العالم يعلم ربّه ويسبح بحمده، وجمعه السالم سليم عن الشذوذ، ففيما يعني الخلائق أجمعين هو ترجيح لجانب العقلاء بينهم برزخاً وسطاً من الحقيقة والمجاز، أم هو حقيقة تحتاج الى قرينة كما هنا وفي سائر الـ (٧٣) موضعاً من الذكر الحكيم، اللهم إلّا فيما يخص ذوي العقول، كذكرى القرآن: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام٩٠، والرسول: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ يوسف١٠٤، ورحمة الرسالة: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الانبياء ١٠٧، ونذارتها: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م : ج١ ص٢٨و٢٩.

حيث القرآن والرسول برسالته ونذارته يخصّان العقلاء المكلفين دون سائر العالمين، ولأن الملائكة غير مكلفين برسالة القرآن ومنهم الرسل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وليست لهم شهوة النفس حتى يسمى تكليفهم تكليفا، ولم يرد في القرآن، ولا لمحة أنّهم مكلفون بالقرآن، وأنّ أقل الجمع ثلاثة فليكن بعد عالم الإنس والجن ثالث لأقل تقدير أم يزيد لكي يعنيهم (العالمين) وقد تلمح لهم آية الشورى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ الشورى ٢٩، حيث الدابّة العاقلة في السموات الراجع إليهم (هم) فيمن هو راجع إليه، ليست هم الملائكة، فهم إذاً ثالث من العالمين أم ويزيد[1].

وجاء في تفسير روح المعاني: (والعالمين) في المشهور جمع عالم وأعترض بأنّه يعم العقلاء وغيرهم وعالمون خاص بالعقلاء، وأجيب بكونه جمعاً له بعد تخصيصه بهم وهو في حكم الصفات كما سيعلم بتوفيقه تعالى من تعريفه أو نقول بالتغليب، وقيل نزل من ليس له العلم لكونه دالاً على معنى العلم منزلة من له العلم فجمع بالواو والنون كما في ﴿**أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ فصلت: ١١ و ﴿**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ يوسف: ٤، وقيل هو اسم جمع على وزن السلامة ولا

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن، الشيخ الدكتور محمد الصادقي، نشر دار شكران للتراث الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م: ج١ص١٠٠و١٠١.

نظير له وفيه نظر لأن الاسم الدال على أكثر من اثنين إن كان موضوعاً للآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف فهو الجمع وإن كان موضوعاً للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية فهو اسم الجنس الجمعي كتمر وتمرة وإن كان موضوعاً لمجموع الآحاد فهو اسم جمع سواء كان له واحد كركب أو لا كرهط، فانظر أي التعريفات صادقة عليه[1].

وجاء في تفسير التجديد: (العالمين): وهو كل ما يُعلم به، ويطلق على جميع الوجودات من كلياته وأجزائه، المحسوس منه وغيره، كعالم الجن وعالم الإنس وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الملائكة وعالم الروح وعالم المادة .. وهكذا.

إنتشال الإنسان من أن يعيش الأفق الضيق لفكره وتطلعاته ونقله الى آفاق العالمين التي خلقت لأجله لتشعره بمسؤوليته العظيمة وعظمة وجوده ليربط نفسه برب العالمين كما ورد عن أمير المؤمنين أنّه قال:

أتحسب نفسك جرم صغير وفيك إنطوى العالم الأكبر

وتنقله الى ما هو أوسع من العالمين ذلك هو عالم الغيب المطلق (رب

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) تحقيق محمد أحمد الآمد، عمر عبد السلام، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ج١ ص١٠٦.

العالمين)[1].

ويقول العلّامة الشيخ عبد الله جوادي آملي: الله رب جميع عوالم الوجود الإمكاني، وليس له أي شريك في الربوبية (ولهذا جاءت كلمة عالمين على نحو الجمع).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (رب العالمين وهو الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات ...).

ثم يقول في إشارة: إن الوجود المادي فضلاً عن حدوثه الذاتي فهو محكوم بالحدوث الزماني، والحدوث الزماني ذاتي للموجود الطبيعي (بمعنى حقيقة الهوية لا بمعنى الماهية) لأنّه على أساس الحركة الجوهرية ليس هناك ثبات وبقاء لموجود مادي فضلاً عن الدوام والتقدم، لكن ليس هناك حدّ للفضل والفيض الإلهي، وتكرر العوالم وتعدد عوالم الإمكان الذي هو من لوازم دوام الفيض الإلهي لا يتعارض أبداً مع حدوث المستفيض وكما مضى بيانه سابقاً فإن المقصود من كلمة (العالمين) هو جميع مراتب وأنحاء الوجود والموجود الإمكاني، لا خصوص العوالم الإنسانية، لأن القرآن الكريم فسر (ربّ

---

(١) التجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ علي عبد الرزاق مجيد مرزة، نشر المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، قم، ط١، ١٤٢٨هـ: ج١ ص٧١.

العالمين) برب جميع النظام الكوني والإنساني الواسع، وبعبارة أخرى أين ما تمتد دائرة الرحمة الإلهية فهو مشمول (العالمين) وحيث إنّ رحمة الله وسعت كلّ شيء: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الاعراف ٥٦، فالمقصود إذن من العالمين هو جميع النظام الإمكاني[1].

إذن بعد هذا الذي استعرضناه هل المعني من كلمة (العالمين) العالم كلّه بجميع مخلوقاته، أو أنّه يقع على ما يُعلم، أو أن المقصود منه هو نوع ما يعقل من الملائكة والجن والإنس، أو ما يخص الإنس والجن دون الملائكة، أو الإنس فقط، على إعتبار أنّ الرسول صلى الله عليه وآله خاطب برسالته ونذارته العقلاء المكلفين دون سائر العالمين، أم أنّ كلّ ممكن هو عالم من عوالم الله تعالى، وسواء كان التعدد على نحو الحقيقة أو بإعتبار المعتبر؟.

في الحقيقة يظهر مما نقلناه من أقوال علماء اللغة وأهل التفسير أنّ (العالمين) جمع عالم، وحينئذ ستكون العوالم متعددة وهو إطلاق يشمل مفردات الوجود كلّها بإختلاف خصائصها التي تعرف من خلالها دورها الوجودي وكيانها الاستعدادي المترابط مع الممكنات الأخرى، حتى وإن تداخلت أو

---

(١) تسنيم في تفسير القرآن، العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي، نشر دار الإسراء، بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ج١ ص٤٢٨ و ٤٢٩.

اشتركت في بعض الطبائع والخصائص فيما بينهن، أو إختلفت وكانت على نحو الصراع والتنافر أو في السبق والترتب، ما دامت لكل مفردة من مفردات الوجود الإمكاني عالم يخصّها وذاتيات تحدها بحدودها.

فإن كل ذلك من لوازم الوجود وطبيعة عالم الإمكان الذي جمع كل تلك العوالم تحت خيمة الإحتياج والإفتقار، فتكون محكومة ومنقادة لخالقها، فهي بالتالي تنضوي تحت مفهوم العالمين.

وعليه بحسب هذه المعاني والمفاهيم التي عرضناها، علينا أن نخرج العوالم التي لا توجد فيها مصاديق النساء، وإلّا لكان قول سيدة نساء عالم غير موجود فيه هذا النوع من الخلق لا معنى له ولا مناسبة تدعو إليه.

ولكن يمكن لنا أن نخرج بمفهوم نستفاده من تخصيص العالمين بالنساء، فستكون فاطمة الزهراء هي سيدة كلّ عالم يوجد فيه هذا المصداق سواء على صعيد ما مضى من التاريخ، والحاضر والمستقبل، فيما إذا بقيت نفس المصاديق أو وجدت مصاديق أخرى بتقدير الله عزّ وجلّ. وحينئذ سيكون لنا ثلاثة إحتمالات:

الأول: إنّ قول الرسول صلى الله عليه وآله (سيدة نساء العالمين) يشمل نساء الإنس ونساء لنوع من الخلق يعيش في هذا الوجود ولكننا لا نعلم مكان

وجودهم ولم نلتق بهم.

الثاني: يشمل نساء الإنس ولنوع من نساء خلق لم يخلقوا بعد، ولكن من الممكن أن يوجدوا في المستقبل.

الثالث: إنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله (سيدة نساء العالمين) المعني فيه ما مضى من النساء وما هو حاضر وما سيأتي في المستقبل.

فأمّا الإحتمال الأول والثاني فنحن غير معنيين به، كونه مجرد إحتمال، ولم نجد له مصاديق في الخارج، وعليه سنطوي عنه كشحاً، وحينئذ سيبقى الإحتمال الثالث هو الماثل بين أيدينا لأننا ما زلنا نعيش أحداثه ومفرداته التي عناها رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذن يبقى قول المعصومين عليهم السلام بـ (سيدة نساء العالمين) متعلقاً بالعوالم التي فيها نساء، والمتيقن من هذه العوالم هو عالم الإنس دون غيره من العوالم كالجن والملائكة والنبات والحيوان والجماد والتراب وغيرهن. وذلك لعلمنا بعدم وجود النساء فيهن، بل للأناث إن وجدت في تلك العوالم اسماء مختصة بكل نوع منهن، ولا تسمى أناثهم بالنساء، ولذلك سيبقى هذا المسمى من مختصات عالم الإنسان.

ويبقى السؤال هنا بأي مفهوم يمكن لنا أن نخرج المعنى المراد أن يوصله

المعصومون عليهم السلام عندما قالوا أن فاطمة الزهراء هي سيدة نساء العالمين، فهنا جمعاً لعدّة عوالم فمن الذي يدخل في هذه العوالم لتكون بالتالي فاطمة الزهراء هي سيدة عليهم.

معنى الإصطفاء ودلالاته

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بأس أن نعرف معنى الإصطفاء الذي جاء بحق مريم البتول عليها السلام والذي بينته الآية المباركة: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ آل عمران٤٢، وهل له علاقة بفاطمة الزهراء عليها السلام؟.

جاء في مجمع البيان: (إصطفاك على نساء العالمين) أي على نساء عالمي زمانك لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر عليه السلام، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال فضّلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين)[1].

وقال صاحب تفسير الأمثل: (إصطفاك على نساء العالمين):

هذا يعني أن مريم كانت أعظم نساء زمانها، وهو لا يتعارض مع كون سيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فقد جاء في أحاديث متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام الصادق (عليه السلام) قولهما: (أمّا مريم فكانت سيدة نساء زمانها، أمّا فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج٢ ص٥٦٤.

كما أنّ كلمة (العالمين) لا تتعارض مع هذا الكلام أيضاً، فقد وردت هذه الكلمة في القرآن وفي الكلام العام بمعنى الناس الذين يعيشون في عصر واحد، كما جاء بشأن بني إسرائيل ﴿**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ البقرة٤٧، فلا شكّ أنّ تفضيل مؤمني بني إسرائيل كان على أهل زمانهم[١].

وجاء في تفسير نور الثقلين: عن علل الشرائع: بإسناده الى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: سميت فاطمة عليها السلام محدّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله عزّ وجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين[٢].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ: ج٢ص٣٣٣.

(٢) تفسير نور الثقلين، للمحدث الجليل العلّامة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، نشر مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ج١ص٤٠٢.

وجاء في تفسير الفرقان: (واصطفاك على نساء العالمين) اصطفاء يُحلّق على كلّ صفوة سامية، ومن ذلك إختصاصها في خطاب ربها (يا مريم اقنتي ...).

أترى أن (سعة نساء العالمين) هي عرض المكان وطول زمان؟ فهي إذاً مفضلة على الصديقة الطاهرة وهي خير نساء العالمين من الأولين والآخرين! رجالاً ونساءً، فهي خير العالمين – كأبيها وبعلها وبنيها المعصومين – رجالاً ونساءً فهي مفضّلة على نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فضلاً عن مريم سلام الله عليها.

وما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله إنّ (أفضل نساء العالمين خديجة وفاطمة ومريم وآسية وإمرأة فرعون) لا يعني مساواتهن مع بعض، وإنّما فضّلهن على النساء، على تفاضلهن فيما بينهن. ذلك كما وهي سيدة نساء أهل الجنة، لا مريم البتول فهي إذاً (أفضلهن عالماً) في الدنيا والآخرة.

ذلك وليس ذكر مريم سلام الله عليها مرات في الذكر الحكيم وتطهيرها واصطفائها إلّا ذوداً عنها وإبنها المسيح عليهما السلام وملابساتهما من الشبهات التي لم يتورع اليهود والنصارى أن يلصقوها بهما، وإلّا فلا دافع لذكر النساء بأسمائهن في القرآن كما لم يذكر فيه إلّا هي.

أم أن القدر المعلوم من (العالمين) عالمي زمانها الحاضر، أم والغابر الى

حواء، وأما المستقبل فلا، فلأن الإصطفاء ماض فـ (العالمين) إذاً ماضون، فلا يعني إلّا ماضيه من الماضين دون الآتين الى يوم الدين، فالشمول لمن يأتي بحاجة الى دليل وليس فليس.

صحيح أن العالمين في (رب العالمين) يعمّهم كلّهم ولكنه بقرينة الرب المحلق ربوبيته على كلهم، وأمّا الخلق فقضية محدوديته هي محدودية العالمين إلّا بدليل.

وأما الصدّيقة الطاهرة فهي حسب النص (خير نساء العالمين من الأولين والآخرين) وحتى لو دل دليل على اصطفاء مريم على كل نساء العالمين – ولن– فآية التطهير ترفع دور فاطمة في العصمة الى القمّة المحمدية الفائقة على كل العالمين[1].

والآن بعد ذكر وبيان معنى الإصطفاء، لا حاجة بنا الى التعليق والإضافة، فإن فيما ذكرناه واستشهدنا به من المصادر كفاية وزيادة، لنعود الى أصل السؤال الذي أثرناه، وهو بأي مفهوم يمكن لنا أن نخرج المعنى المراد إيصاله من قبل المعصومين عليهم السلام بقولهم أن فاطمة الزهراء هي سيدة نساء العالمين؟.

ويمكن الإجابة عن ذلك بعدّة إجابات نذكر منها:

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج٤ ص٣٨١ – ٣٨٤.

أولاً:

يمكن اعتبار فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء الدنيا وسيدة نساء أهل الجنّة، وكذلك سيدة نساء البرزخ وعالم الذر وعالم الميثاق وهكذا، فكما هي سيدة نساء أهل الجنة، فمن باب أولى تكون هي سيدة نساء تلك العوالم. كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنت سيدة نساء أهل الجنة، لا مريم البتول)[1].

ثانياً:

قد يكون التعبير بسيدة نساء العالمين المعني به هو سيدة النساء اللواتي يعشن في زمان واحد وعصر واحد، وحينئذ سيكون كل عصر وزمان يعيش فيه ناس معينون يكون عالماً بذاته، وستكون فاطمة الزهراء هي سيدة النساء فيه مهما كبر وتكثر، وقد ورد هذا المعنى أو هذه الكلمة (العالمين) في القرآن وفي الكلام العام بمعنى الناس الذين يعيشون في عصر واحد، كما أخبرنا الله تعالى بشأن بني إسرائيل ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة٤٧، حيث لا شك أن

---

(١) عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، للمحدث الكبير الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني، نشر وتحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط٣، ١٤١٦هـ: ج٢ص٨٦٤.

تفضيل مؤمني بني إسرائيل كان على أهل زمانهم[١].

ثالثاً:

هي سيدة نساء عالم العرب وعالم العجم، وهكذا باعتبار أنّ لفظ العالم يطلق على كل صنف مجتمع الأفراد، كما بين ذلك صاحب تفسير الميزان[٢].

رابعاً:

هي سلام الله عليها سيدة جميع العوالم التي وجد فيها آدم، غير آدمنا أبو البشرية الآن، وعلى هذا تكون هي سيدة العوالم التي تُعد بالآلاف أو أكثر، والتي سبقت عالمنا هذا، باعتبارها العنصر الأكمل من النساء في جميع تلك النشأت والتكثرات، حيث جاء في رواية عن الإمام علي عليه السلام: (إن الله خلق ألف آدم قبل آدمكم وألف عالم قبل عالمكم وأنتم أدنى وآخر هذه العوالم). وهذا يعطيها شرفاً تكاملياً لا يمكن أن يدانيه غيرها من الخلق، على اعتبار ذلك الكم الهائل من الأفضلية على الغير. وذلك لأنه من المعلوم لا يمكن سلب صفات الخيّرة من الآخر بالمرّة أو بالكلية، وما دامت صفات الأخيرية والأكملية موجودة عند الغير فكلما كثر هذا الغير كثرت صفات

---

(١) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق : ج٢ص٣٣٣.

(٢) ينظر الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق :ج١ ص٢١.

التكامل عندهم، وعندما يأتي شخص ويعبر كل تلك المزايا والصفات بحيث حواها وزيادة، حينئذ تتضح أهمية هذا المعني بالمدح والثناء.

خامساً:

والآن نريد أن نعطي معنى لسيدة نساء العالمين في الحقيقة لم يلتفت إليه، وهو معنى دقي وذوقي بعض الشيء، ولكنه ينبع من مكانة فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبار رقيها وتكاملها العصموي المشهود فمن باب أنها لا تقارن بأية إمرأة، ولا بأي صنف من أصناف النساء، وإنّما عندما تقارن من المفروض أن تقارن بأصناف النساء الكمّل.

وهنا عندما قال الرسول صلى الله عليه وآله بحق فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين، قصد بالعالمين جمع العالم الذي هو مفرد العلماء، وعلى اعتبار أن العالم لكثرة علمه وتبحره، يوصف كأنّه عالَم لوحده – والمقصود هنا طبعاً ليس كل العلماء – وإنّما العلماء الربانيون، وعلى اعتبار أنّهم يكونون حريصين بدقة عند اختيار النساء كزوجات لهم، فعلى كثرة نسائهم الفاضلات التي أختيرن بعناية فائقة من قبلهم، فإنهن لو قورن مجتمعات أو فرادى لما استطاعن أن يدنين من فاطمة ولبقيت سلام الله عليها هي سيدتهن.

سادساً:

وهذا المعنى أيضاً لم يلتفت إليه، قالوا إنّ الوجود ينقسم الى:

١- الوجود اللفظي.

٢- الوجود الكتبي.

٣- الوجود الخارجي.

٤- الوجود الذهني.

وبما أنّ هذا الوجود قد تعلق بالممكنات، فكان لكل منها عالمه الخاص، وحينئذ يمكننا أن نسمي تلك الوجودات بالعالم اللفظي والعالم الكتبي والعالم الخارجي والعالم الذهني. وعندها ستكون فاطمة الزهراء سلام الله عليها سيدة النساء التي تلفظ والتي تكتب والتي هي موجودة فعلاً في الخارج، بل هي سيدة نساء حتى في عالم الذهن، وما يستتبعه من تصورات كمالية لا يمكن أن توجد في عالم الخارج، بحيث مهما حاول الفرد وتكلف في خلق تصورات في عالم الذهن، يمكن أن تضيف كمالاً للنساء، فإنه بالتالي محكوم عليها بأنها تبقى متدنية وقاصرة عن اللحوق بكمال فاطمة الزهراء عليها السلام.

وعلى هذا الأساس فإن في قول الرسول والأئمة المعصومين من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأنّها سيدة نساء العالمين يريدون أن يبينوا

بأن عظمتها لا يمكن أن يقيسها أحد، ولن يستطيع أن يصل الى حقيقة كنهها أحد، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. هكذا أراد الله عزّ وجلّ لفاطمة أن تكون، فكانت كما أرادها الله، فتجلت كل ملامح الهيبة والوقار فيها، وتصدعت درجات التكامل تحت قدميها، غير قادرة على مسايرة ثقل فاطمة عليها السلام وهي تخطو للقرب من الله تعالى.

سابعاً:

عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله بأن فاطمة الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين، فإنه يريد أن يوصل معنى بأن التي كانت سيدة نساء عالمها التي هي مريم البتول سلام الله عليها أصبحت غير قادرة لأن تكون سيدة على نساء العالم الذي يأتي من بعدها، أي أنها تعتبر قاصرة سلام الله عليها في عبور صفات تكامل بعض نساء ذلك العالم، وعندئذ سوف يحتجن الى شخصية تكن مثلاً أعلى لهن، لكي يتسابقن في الوصول إليها، أو التقرب من بعض ملكاتها وصفاتها، فكانت فاطمة تلك الشخصية التي تؤدي هذا الدور بجدارة، وهذا الأمر جداً طبيعي، ومن العدل الإلهي أن يكون هذا الشيء للساعيات نحو التكامل والرقي الروحي. فهن بحاجة لشخصية تكون سيدة عليهن على اعتبار هي المربية والعالمة والسالكة بهن سبل الرضوان.

كما أنه من الممكن اعتبارها ربّة النساء في ترتيب شؤونهن، وتنظيم أمورهن، وفي مدّهن بالأبعاد المعرفية في كيفية تعاملهن الأسري أو خطابهن الجهادي أو علومهن المطلوبة أو طاعتهن المفروضة، أو في صبرهن على البلاء، والى غيرها من الأمور المرادة ممن تسعى الى سلّم الصعود الرباني.

الدلالات المستحصلة من هذا القول

والآن لنأتي لنستعرض الدلالات التي يمكن أن تستفاد من هذا القول المبارك والتي يمكن أن نذكر منها ما يلي:

الدلالة الأولى:

عندما يقول الرسول صلى الله عليه وآله بأن فاطمة سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة، فإن ذلك يدل على أنّ هناك بعداً خاصاً للنساء، وهن من خلال هذا البعد يتكاملن، ويحققن الهدف والغرض من وجودهن في عالم الدنيا. ولذلك اختيرت الزهراء عليها السلام لتكون في قمة الهرم، لكي يترشح من أقوالها وأفعالها وصمتها الفيض، لتشكل بالتالي المحور الأساسي في تكامل المرأة.

وذلك لأن المرأة بما هي إمرأة، وبغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، لو اقتصرت في النظر الى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإنه بالتأكيد ستكون هناك احتياجات للمرأة وتطبيقات عملية لا يمكن للمعصومين إيصالها للنساء عن طريق الأقوال فقط، ومن خلال التعليمات لا غير، إذ لابد من وجود بعد عملي بمنظور نسائي يؤكد امكانية تطبيق ما هو مطلوب من المرأة.

الدلالة الثانية:

إن خطاب الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة بسيدة نساء العالمين، هو واقعاً خطاب المعني به بالمباشر النساء، ونستطيع أن نقول بأنّه خطاب يمارس من خلاله شد ولفت الإنتباه وحصر نظر النساء إليه، لأنه خطاب موجه لهن فعليهن التركيز عليه، ومعرفة ما هو المطلوب، والمراد منهن من وراء هذا القول بحق فاطمة عليها السلام، وذلك لأنه من المفروغ منه بأن فاطمة الزهراء لن تستفاد من هذا اللقب بشيء، ولن يزيد في طاعتها أو عباداتها، لأنه بالتالي لقب، وإن كان واقعياً بحقها سلام الله عليها، لكنه لقب لم تعمل له من أجل الوصول إليه والتلبس به، وإنّما جاء على نحو عفوي كونها هي فاطمة على سجيتها وبفطرتها وبخلقتها هي هكذا سيدة لنساء العالمين.

وعليه فإنه سيترشح من هذا اللقب عطاء من خلاله تستنهض النساء الباحثات عن الكمال والطاعة الحقة الكاملة.

الدلالة الثالثة:

هذه الدلالة قد تنبثق من الدلالة الأولى، ولذلك سيكون في طرحها نوع من الإيضاح والبيان أكثر. فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله هو أكمل البشرية على الإطلاق، ولا يدانيه بهذا الفضل أي كائن آخر، هذا الكمال

يستدعي أن يعمّ على النوع الإنساني، بقسميه الرجال والنساء، وبما أنّ المرأة قد اختلفت مع الرجال في التكوين والتنظيم الفسلجي والبيولوجي وكذلك في بعض الأحكام التشريعية، سواء كانت تكليفية أو وضعية، فيستدعي هذا الأمر أن يكون هناك جانب عملي، أو قل حركي يوضح للمرأة التصرف أو الفعل الأكمل الذي عليها أن تحاكيه وتسايره من أجل كمالها، فكما ان وجود محمد صلى الله عليه وآله ووجود أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام علامة للدلالة لمن يريد أن يسير في سلك التكامل، فكانوا هم المرآة التي تعكس أوامر الله تعالى، بعد أن يطبقوها على أنفسهم ومن ثم يظهروها للناس. وهكذا هي النفس مجبولة على المحاكاة والتقليد والتعلم، إذ لا يمكن أن تستقل بذاتها للوصول الى المعارف والكمالات العليا.

فإذا كان الرجال ينظرون الى الرسول والى الأئمة للإقتداء بهم، وجعلهم الميزان الذي توزن به الأعمال، فكان من الضروري أن يكون للنساء إمرأة يقتدى بها، وتكون هي المعيار الذي يحدد من خلاله دور المرأة، وهذا الأمر لا يعني قصور الرسول صلى الله عليه وآله في إعطاء منهج تربوي وتعليمي متكامل للنساء، وإنّما يحدث هذا الأمر للأسباب الآتية:

اولاً:

إنّ كثير منا لا يستطيع أن يدرك التعاليم والأعمال بالصورة النظرية فقط، وإنما يحتاج الى المواقف العملية التي يترتب من خلالها الإعداد والتنظيم، فالرجال على سبيل المثال، عندما يريدون أن يطبقوا عملياً ما أمروا به فإنهم سيجدون في شخص الرسالة والأئمة من بعده خير معين لهذا الأمر، فهم يرونهم ويفعلون ما يرون منهم وكلّ بحسب قدرته واستطاعته.

أما المرأة فإنها حتى تأخذ حقها بشكل كامل في إيضاح وبيان ما يتطلب منها، فإنها بكل تأكيد ستحتاج الى إمرأة مثلها تبين لها الحجاب الشرعي عملياً، وتبين لها كيفية جهاد المرأة سواء على صعيد الأسرة أو على الصعيد الخارجي، أو كيفية مخاطبة القوم أو مواجهة الظالم إذا ما استدعى الأمر ذلك الشيء، أو تطلبته مقتضيات المصلحة والظرف المعاش. وذلك لأنه بمثل هذه الأمور لا يكفي مجرد الكلام أو الإشارة والتلميح، وإنما نحتاج بالفعل الى إمرأة تؤدي هذا الدور، لتكون علماً هادياً ومرآة تعكس نور الرسالة الى الآخرين.

فعلى سبيل المثال وليس الحصر كموقف فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تؤدي أعمالها داخل البيت وكيفية تعاملها مع زوجها، وكيفية إدارتها لأسرتها أو في تربيتها لأطفالها أو تعاملها مع جيرانها، مضافاً الى موقفها وهي

تدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما سلب حقه، أو في كيفية احتجاجها على القوم الظالمين، وإلقائها للخطبة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله عندما سلبوا منها فدك واغتصبوا الخلافة. الى غيرها من المواقف التي جادت بها سلام الله عليها وهي تبين فيها التصرف الصحيح الذي من المفروض على المرأة الإتيان به فيما لو تعرضت لمواقف مشابهة له.

ثانياً:

إننا عندما نتكلم عن إحتياج المرأة الى إمرأة مثلها لا نعني بذلك إحتياجها الى الأحكام الشرعية، وبيانها على نحو الإستقلال من إمرأة مثلها، فهذا الأمر قد تكفل به الرسول صلى الله عليه وآله، وإنما يكون الإحتياج من ناحية إيصال الحكم ببعده العملي، أو قل الصورة الحركية لهذا الحكم. وأما أصل ومنشأ هذا الحكم فهو صادر من قبل الرسول، ولا يحتاج الى أي شخص آخر باعتبار حصر الرسالة والتبليغ بمحمد صلى الله عليه وآله.

فعلى سبيل المثال الرسول يوصي بالحجاب ويأتي بالحكم الشرعي الدال على ذلك، ولكن لبيان كيفية الحجاب الكامل نحتاج الى إمرأة تؤدي هذا الدور لإظهار صورة ذلك الحجاب للنساء، وإلّا من غير الممكن أن يأتي الرجل ويؤدي هذا الدور.

ولذلك يكون احتياج المرأة الى إمرأة مثلها لا على نحو عدم القدرة في إيصال الحكم من قبل الرجل وإنّما الإحتياج متعلق بالكيفية التي يؤتى أو ينجز بها الحكم.

ما هي الفوائد المترتبة من قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء بأنّها سيدة نساء العالمين؟

لابد أن نعلم بأن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام ليس لديهم فضول أو حشو زائد في أقوالهم وتصرفاتهم، وإنّما هم وجدوا وكل أقوالهم وأفعالهم وتقريرهم حجة، ولها أبعاد تربوية مناسبة يأخذ كلٌّ بقدره وسعة تحمله واستعداده لقبول أو رفض الفيوضات التي تخرج عنهم، وهذا الأمر هو الذي جبلوا عليه ونالوا الشهادة من أجله.

فإذا كان الأمر كذلك فما هي إذن الفوائد المتوخاة، أو قل ما هي الرسالة التي أراد الرسول صلى الله عليه وآله إيصالها الى المسلمين والتي تفيض من هذا القول المبارك، وهل هذا القول وجد للتبرك والتشريف فقط، أم هناك بعداً حركياً على الأمّة إيجاده والبحث عن معطياته في حياتنا الدنيا. وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نخرج بعدّة فوائد نذكر منها ما يلي:

الفائدة الأولى:

هناك دور تكاملي تحتاجه المرأة في هذه الدنيا، لا يمكن أن يهيء مقدماته

وإيضاح علاماته أي شخص غير فاطمة الزهراء عليها السلام، بإعتبار وحدة الصف ولو ظاهراً وحاجة المرأة لأن تنظر بمنظور من جبلتها وسنخيتها. نعم للرجال أدوار تربوية كثيرة يمكن أن يقدّمها للمرأة ويتبنى تربيتها وتعليمها، ولكن مهما بلغ عمق هذا المستوى التربوي الذي يقدم للنساء، تبقى هناك منطقة فراغ تستشعره المرأة نفسها، ليس للرجل قدرة إملاءه وتعويضه، وإن كان على المستوى الرسالي، وحينئذ لابد من إيجاد نموذج المرأة الكاملة التي لها منحة من منح النبوة والرسالة تستطيع أن تؤدي فيها دور الرسول في سد نقص الإحتياج الذي يواجه النساء. وهنا أراد الرسول صلى الله عليه وآله لفت الإنتباه لهذا الأمر والتوجه إليه باعتبار عدم وجود البديل الذي يؤدي ذلك الدور.

الفائدة الثانية:

إن الإنسان لو خلي وطبعه وفطرته فإنه يميل الى التكامل، بل إنّ كل مفردات الوجود الإمكاني تميل الى هذه النزعة بأصل الخلقة، وإن تأخرت في مسيرها نتيجة وجود العوائق والمعرقلات التى يعدّها الشيطان. وعلى هذا الأساس فإن الإنسان سيسعى لنيل حصته من هذا التكامل، فإذا ما أراد الرجل أن يضع نصب عينيه إنموذجاً يكون هو البوصلة التي تحدد اتجاهه في مسيره الدنيوي، فعندها سيستند على كل صغيرة وكبيرة بإتباعه. وكذلك المرأة

عندما تطالب بحصتها التربوية والتعليمية، فسيكون بالتأكيد هناك لها جزء مقسوم من التربية والتعليم الذي يعرض للرجال. ولكن بما أن للنساء أمور تخصهن بالتركيبة النفسية والبناء الفسيولوجي، فلابد أن تكون لهن نواحي تربوية تصدر من مربي يشترك معهن في تلك التركيبة والبناء، أو قل يشعر بشعورهن وبالعاطفة التي بثناياهن وبالمشاكل الجسدية التي تحيط بهن، نتيجة الولادة والنفاس والحيض والإستحاضة والى غيرها من المشاكل، مضافاً الى شعورهن المرهف وحسهن الوجداني الرقيق وما شابه ذلك.

فكان لابد من إيجاد إمرأة تؤدي هذا الدور، فكانت فاطمة الزهراء هي خير من يؤديه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملتفتاً الى هذا الأمر وبشكل دقيق، حتى أنّه أرسى قاعدة مهمة تدعم هذا المبنى، وذلك عندما أسس لها بقوله المشهور بحقها: أنّها بضعة مني يرضيني ما ارضاها ويغضبني ما أغضبها. أو قوله صلى الله عليه وآله: هي روحي التي بين جنبي. كل ذلك من أجل أن يرسم لنا الصورة الرسالية التي ما كانت أن تتم، لولا وجود فاطمة عليها السلام، على أساس أن هناك بضعة من رسول الله وهي جزء منه لا يتجزأ، أسمها فاطمة هي التي تقوم بسد ذلك الإحتياج الذي يختص بالنساء.

الفائدة الثالثة:

أراد رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال قوله (سيدة نساء العالمين) بحق فاطمة الزهراء إثبات أفضلية لأمير المؤمنين علي عليه السلام، لا يستطيع اعداءه ومبغضيه أن يحرفوها أو يرفضوها أو يمحوها، على اعتبار أن فاطمة الزهراء هي محط قبول جميع المسلمين، ولا يوجد إختلاف حولها، كونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أن الخليفة الأول قال لها يوم خطبت في مسجد الرسول: (يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إنْ عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفِكِ دون الأخلاّء، آثره على كل حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لا يحبكم إلّا كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلّا كلّ شقي، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك ...)[1].

فإذا كانت هي سلام الله عليها سيدة نساء العالمين وخيرة النساء، فحينئذ

---

(١) ينظر دفاع عن فاطمة الزهراء: للمؤلف، نشر دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٦: ص٢٠٣ – ٢٠٥.

لابد أن يكون هناك تساؤل وهو: من الشخص الذي يستحق أن يكون زوجاً كفؤاً لسيدة النساء، وللقيمة التي تحملها بين جنبيها، ولذلك تسابق الرجال الى خطبتها ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرفضهم، ويقول إن أمر زواجها بيد الله وليس بيدي، وما أن تقدم علي بن أبي طالب عليه السلام طالباً يدها الشريفة، سارع الرسول بالقبول ليثبت للمسلمين بأن علياً عليه السلام هو سيد الرجال من بعده، وهنا فقط إكتملت المعادلة واستقر الميزان، سيدة النساء لسيد الرجال.

وهنا ثبتت أفضلية لعلي عليه السلام من دون ذكرها بإسمه، ولكنها أتت نتيجة إعلان فضيلة ومزية لفاطمة الزهراء ليتمكن ذوي العقول النيرة والفطنة العالية من استكشاف واستنباط فضيلة لعلي تنبع من تلك الفضيلة الفاطمية.

الفائدة الرابعة:

إن في قول الرسول صلى الله عليه وآله بحق فاطمة الزهراء أنها سيدة نساء العالمين فائدة لا تختص فقط بالنساء وحدهن، وإنّما تعم وتشمل حتى الرجال أنفسهم، وذلك لوجود التواصل والألفة بينهم، وهناك التزامات وحقوق وواجبات تفرضها روابط الزواج والأبوّة والأخوّة وكذلك العلاقات الاجتماعية العامة التي تجعل من الرجل والمرأة في موقف المسؤولية في بناء

الأسـرة والمجتمـع. فنتيجـة لهـذه التـداخلات والمحـك اللابـدي الحـدوث عـلى الرجـل أن يعـرف المـرأة مـن خـلال مقايسـتها بالصـفات التـي أرادتهـا فاطمـة الزهراء عليها السـلام أن توجـد في المـرأة. أو قـل ملاحظـة الرجـل للمـرأة بكـم صفة تحلت من صفات فاطمة الزهراء، وكم هي النسـبة التـي أتـت بهـا في تلـك الصفة، وحينها ستعم السعادة بـين الطـرفين، وبالتـالي ليسـيرا معـاً في خطـوات بنـاء الأسـرة والنهـوض بـالمجتمع الى مصـاف الرقـي والتطـور والإبـداع الـذي أراده الله تعـالى للإنسـان. أي أن الرجـل عنـدما يعلـم بـأن الزهـراء سـيدة نسـاء العالمين حينها سـيبحث عـن الصـفات والسـمات التـي جعلـت مـن الزهـراء أن تكون سـيدة للنساء، فإن علم بها، فستكون نفس هذه الصفات دالة وعلامـة لـه ليبحث من خلالها عـن المـرأة التـي عليـه أن يتعامـل معهـا، إن كانـت زوجـة أو تكون أختاً أو بنتاً، فعليه أن يربيها ويعلمها ويثقفها بالأمور التي أرادتهـا فاطمـة الزهراء أن تكون في المرأة.

وحينئذ إذا التزم الرجال بالبحث عن هكذا صفات في المرأة، فسوف تكون هناك حياة سعيدة بين الطرفين، خالية من المنغصات والمشاكل، وسـينشأ نتيجـة لـذلك مجتمـع يسـوده الحـب والوئـام والإنسـجام، وسـيبدع كـل مـن موقعـه وامكاناته الذاتية التي منحها الله تعالى له.

ويمكن عرض هذه الفائدة بأسلوب آخـر، والتحقيق فيها وطرحها بشكل

أوسع من خلال طرح السؤال التالي: هل أن قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء بأنّها سيدة نساء العالمين خاص بالنساء – أي أن فائدته وخيره يعود للنساء فقط – أم له علاقة وفائدة بالرجال أيضاً.

وجواب ذلك سيكون بالشكل الآتي:

مثّلت الزهراء عليها السلام النموذج المشرق والمساحة الواقعية التي تتحرك من خلالها المرأة، كونها خير من مثّلت هذا البعد القيّمي للمرأة، وهنا يطرح سؤال هل أنّ هذا القول – أي سيدة نساء العالمين – مختص بالنساء من ناحية النظر والإلتفات إليه أم أنه في نفس الوقت له عدّة أبعاد على الرجال الإلتفات لها والتعامل معها؟.

في الحقيقة يكون ذلك من خلال مستويين:

الأول: على مستوى البعد الإجتماعي.

ويمكن توضيح ذلك من خلال المثالين التاليين:

المثال الأول:

لو أراد رجل أن يختار إمرأة لتكون شريكة حياته ونصفه الثاني، من أجل تكوين أسرة تستند الى أساس متين من العلاقات الطيبة بين الطرفين، فهنا على

الرجل أن يبحث عن إمرأة تمتاز بمواصفات خاصة، هذه المواصفات ينظر لها من خلال ما توصي به فاطمة الزهراء، أو بما إمتازت به في تعاملها مع الرسول صلى الله عليه وآله أو مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام أو مع أبنائها أو مع سائر المجتمع الإسلامي، بما تربطهم من علاقات عقائدية واجتماعية.

المثال الثاني:

إذا انحصر باب الجهاد والمواجهة بأن تؤدي المرأة دوراً مهماً وفاعلاً فيه، فهنا يجب أن يكون الإختيار على أساس ما تبنته فاطمة الزهراء عليها السلام في مواقف المواجهة، خصوصاً ما قامت به من دور وهي تدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام، عندما سلبوا منه الخلافة قهراً، وكذلك عندما طالبت بحقها بفدك، وكيف أنها ألقمت القوم الحجة البالغة.

وخير مثال على هذا الإختيار هو إختيار الإمام الحسين عليه السلام لزينب عليها السلام، لتؤدي دور الكفالة للأيتام، والمدافعة عن القضية الحسينية بخطاباتها الواعية، وما كان هذا ليحدث لولا أنها تخرجت من ذاك البعد التربوي، الذي أسست أسسه فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولك أن تقيس على ضوء هذين المثالين المواقف الأخرى للزهراء عليها السلام.

الثاني: على المستوى الشخصي.

أما ما يخص الرجال على المستوى الشخصي، ومدى الإستفادة من قول الرسول صلى الله عليه وآله بأنها سيدة نساء العالمين سلام الله عليها فهنا يمكن القول:

بما أن فاطمة الزهراء عليها السلام قد سطّرت بعمرها الصغير، وبسنواتها القليلة التي لم تتجاوز الثمان عشرة سنة، أروع المواقف والأمثلة في الروابط الأسرية ومتطلباتها التربوية، وكذلك في الروابط الإجتماعية والعقائدية، مضافاً الى المواقف الجهادية الحادّة والحرجة، ناهيك عن الالتزام بالمنظور العبادي واختيار العبودية المطلقة لله تعالى.

فهنا سيشكل ذلك الوجود الزاخر بالعطاء والتضحية منحيين:

الأول:

هو أن يستشعر الفرد وجوده في هذا الكون، وهل أنّه استثمر ما وهبه الله عزّ وجلّ بالشكل الصحيح، وهل أنه استغل كل لحظة من لحظات حياته في بناء كماله، ومن ثم خدمة مجتمعه والوصول بذلك الى الغرض الأسمى من وجوده، وهو يرى ويسمع كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله قد أشاد بالزهراء عليها السلام، ووسمها بوسام "سيدة النساء" على ما لها من العمر الصغير، بحيث

وصلت لهذا المقام العالي بعد أن وظفت جميع امكاناتها في ساحة الرضا الإلهي.

فيكون هنا تساؤل وأنت كرجل ماذا قدّمت، وأنت تناط بك المهام الثقال والأمور العظام، فعلى سبيل المثال هل استطعت أن تكون سيداً على أسرتك، فضلاً عن غيرها من المسميات واختلافها في السعة والكبر، وأنا أقصد هنا لا على نحو التسلط والغلبة، بل على نحو الشعور بالمسؤولية، وعلى مستوى الأخلاق والطاعات والمعاملات وغيرها الكثير لكي تتمكن من إظهار الجانب المشرق للإسلام.

الثاني:

إذا كانت الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، إذاً هو مقام محترم وعال يبيّن قيمة النساء بشكل عام بحيث استحقت أن تكون شخصية مثل فاطمة الزهراء سيدة لهن، ومن ثم تكون حلقة الإنتماء فيما بينهن واضحة، ودلالة الإرتباط عميقة.

فدور الرجل يأتي هنا، وهو كيفية التعامل مع من اختيرت الزهراء لتكون سيدة لهن، فعليه أن يكرمها وأن يشعرها بأهميتها وأهمية الدور المناط بها كامرأة، وأن يعرف الطاقة الكبيرة الكامنة عندها في تشكيل الأسرة والمجتمع. ولولا ذلك لما كانت النساء مؤهلات لكي تكون فاطمة الزهراء سيدة عليهن،

أو قل ما كانت الزهراء عليها السلام لتكون سيدة على النساء، لولا الفضل والقيمة لديهن، لأنه من غير المعقول أن يفتخر شخص بأنه سيداً على جماعة أو قوم لا وجود للخير والعطاء والصلاح فيهم، وإنّما يكون الفخر بالتسيد على القوم الذين يمتلكون المؤهلات العالية والصفات الطيبة، فمن هذا الباب على الرجال أن يكون لهم دوراً شخصياً في كيفية التعامل مع النساء، وإعطائهن القيمة الحقيقية التي أرادها الله عزّ وجلّ والرسول صلى الله عليه وآله أن نصل إليها، من خلال إعطاء الزهراء صفة التسيد عليهن، لا أن نستغلهن في أمور غير أخلاقية بإسم الحرية والتطور، وإنّما علينا أن نبرز لهن دورهن الحقيقي في هذه الحياة، ومن ثم تشجيعهن على الإنخراط في هذا الدور.

الفائدة الخامسة:

إنّ في قول الرسول صلى الله عليه وآله بأن فاطمة سيدة النساء فيه علقة وربط إجتماعي وأخلاقي، لا يمكن للمرأة أن تنفك عنه، حتى وإن تمردت وحاولت فك هذا الإرتباط نتيجة إنفلات معين، أو جهل أو عدم المبالاة، أو حتى لعدم القناعة لوجود انحرافات معينة بهذا الشأن.

فمن الممكن أن توجد صفة أو خصلة من خصال فاطمة الزهراء عليها السلام، ولكنها خاصة بها وبشأنها العِلْوي المقدس، وحينئذ قد تستطيع النساء

التملص من هذا الأمر، لأنه يمثل شأناً من شأنياتها سلام الله عليها، وهن بعدها غير مضطرات للتعايش والتجاوب معه، وذلك لعدم وجود علاقة تتقوم المرأة من خلالها كالطاعة أو الإقتداء وما شاكل ذلك.

ولكن ما دام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هي سيدة النساء فمن هذه الناحية أصبح لزاماً على المرأة المسلمة أن تبحث لإيجاد صلة إرتباط بالزهراء، كونها سيدتها وهي صاحبة البعد التكاملي التي تعرف من خلاله طرق التربية المناسبة لشأن النساء.

وهذا الشد وهذا الإرتباط، ما كان ليوجد لولا دعوة الرسول صلى الله عليه وآله له، وتحويل نظرهن لفاطمة الزهراء على اعتبار أن الرسول هو صاحب الرسالة وصاحب دعوة التكامل، وقوله قول الله عزّ وجلّ، فكانت المصلحة أن تتحول بهذا المستوى من الاحتياج النسوي الى فاطمة الزهراء، لتقود النساء لمصادر القوّة التي تتسلح بها في هذا العالم الواسع والمليء بالمشاكل والمتاعب والعقد والضغوط الاجتماعية التي لا تكاد تثبت على حال.

الفائدة السادسة:

جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فأختارني منها على رجال العالمين، ثمَّ اطّلع

الثانية فأختارك على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثالثة فأختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين[1].

فيستفاد من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، بأنه يريد من ذلك الإختيار للزهراء، كما إختاره الله تعالى عندما أشرف على الدنيا، وعندما اطّلع الثانية كان علي هو المختار بعد محمد صلى الله عليه وآله، وبعد أن اطّلع الثالثة اختار الحسن والحسين على العالمين، فكانا بعد علي عليه السلام، وبعد أن اطّلع الرابعة اختار فاطمة على نساء العالمين.

وهذا سوف يعطينا مفهوماً بأن هناك فارق وبون شاسع بين الأنبياء والأولياء الذين سبقوا الإسلام، وبين الرسول محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة من ولده، بحيث لا يقاس أي فرد بهم من باب المقارنة، ولذلك انحسر النظر بالرسول والأئمة من بعده، ولم يشاركهم أي نبي آخر أو وصي بهذا الإختيار، لعدم وجود قابلية الوصول والإقتراب من مقاماتهم، وأمّا اختيار الرسول صلى الله عليه وآله بالإطّلاعة الأولى ومن ثم أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فهذا لكونهم من نور واحد، وأولهم يفيض

---

(١) الاسرار الفاطمية، مصدر سابق: ص١٦٤ نقلاً عن زين الفتى للحافظ العاصمي، و (فاطمة الزهراء) للعلامة الأميني ص٤٣.

على الثاني وهكذا، فلذلك كانت هناك مناسبة لهذا الوجود والاختيار الترتيبي فيما بينهم صلوات الله عليهم أجمعين.

أما فاطمة الزهراء عليها السلام فلم ترتق أية امرأة لتقارب مقامها، لا في الأولين ولا في الآخرين ولذلك كان أول اختيار لها، ولا يوجد بعدها من تفيض عليه من مقامها ورتبتها. نعم تعطي مقدار من النفحات والهبات الفاطمية، كما حدث مع زينب عليها السلام، ولكن بالرغم من ذلك يحجب عنها باقي الفيض، لإختصاصه بالزهراء دون غيرها ولتكمل زينب عليها السلام باقي استحقاقها من مقامات الإمامة الكبرى، وإمامة الحسنين سلام الله عليهم، لترتقي بعالمها ومرتبتها الخاصة بها من دون النساء، والتي تمكنت بواسطتها من مسايرة الحسنين عليهم السلام وإكمال دورها الرسالي بعد عاشوراء الحسين.

وأما بالنسبة لمريم عليها السلام وقول الله عزّ وجلّ بحقها: ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ بالرغم من أنّه من الممكن أن يأتي معنى الإصطفاء على أنّه الاختيار، أي أنّ الله اختارك على نساء العالمين. إلّا أنّ هنا في هذا المورد لا يعني أنها أفضل نساء عالمها في كل شيء، وإنّما المعني منها أن الله تعالى اصطفاها وأختارها من بين نساء عالمها، أو حتى لما بعد عالمها، باعتبار أنها أنجبت عيسى عليه السلام من دون أب، فكان اصطفائها من أجل أن تؤدي هذا الدور على

أكمل وجه. وهذا التفسير هو أقرب الوجوه، للإطلاق الوارد في الآية المباركة فهي فعلاً إنّ الله اصطفاها، بحيث لم تسبقها امرأة في زمنها ولم تأت امرأة بعدها تكون في محل الاصطفاء للإتيان بولد من دون أب.

ويعضد هذا القول ما ذهب إليه صاحب تفسير الميزان في قوله تعالى: (وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) ... إن الاصطفاء المتعدي بـ (على) يفيد معنى التقدم، وأنّه غير الاصطفاء المطلق الذي يفيد معنى التسليم، وعلى هذا فاصطفائها على نساء العالمين تقديم لها عليهن.

وهل هذا التقديم تقديم من جميع الجهات أو من بعضها؟ ظاهر قوله تعالى فيما بعد الآية ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ**﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء٩١، وقوله تعالى ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ التحريم١٢، حيث لم تشتمل مما تختص بها من بين النساء إلّا على شأنها العجيب في ولادة المسيح عليه السلام أن هذا هو وجه اصطفائها وتقديمها على النساء من العالمين.

وأمّا ما اشتملت عليه الآيات في قصتها من التطهير والتصديق بكلمات الله

وكتبه، والقنوت، وكونها محدّثة، فهي أمور لا تختص بها، بل يوجد في غيرها، وأما ما قيل: إنها مصطفاة على نساء عالم عصرها، فإطلاق الآية يدفعه[1].

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج٣ص٢١٨.

كيف نعالج الروايات التي ورد فيها ذم النساء

يمكن أن يطرح إشكال هنا يخص قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: (بأنها سيدة نساء العالمين) وهو: ما هو الفضل بأن تكون فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وقد وصفن في بعض الروايات التي جاءت عن أهل البيت أو غيرهم بأنهن ناقصات عقول ودين وهن شر لابد منه وهكذا، وكمثال على ذلك ما جاء في أحد خطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: (... إنّ النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول: فأمّا نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال. فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر)[1].

- (إن البهائم همّها بطونها، وإنّ السباع همها العدوان على غيرها، وإنّ النساء همّن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، إنّ المؤمنين مستكينون، إنّ المؤمنين

---

(١) نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، نشر انوار الهدى، قم، ط١، ١٤٢٦هـ: ص٥١٣.

مشفقون، إنّ المؤمنين خائفون)[١].

- (المرأة شر كلّها، وشر ما فيها أنّه لابّد منها)[٢].

والمعروف والسائد بين الناس، إنّ الذي يتميز دائماً ما يكون تميزه على أقران مبدعين، فيكون للتميز نكهة ومقام يستحقه من كان أفضلهم. فكيف نوفق بين ما قيل في حق الزهراء عليها السلام وبين ما جاء في ذم النساء؟

وقبل الإجابة عن هذا الإشكال علينا أن نطرح هذا العنوان:

الإختلاف الوظيفي بين المرأة والرجل واقعي أم سياق إجتماعي

إفتتح ول ديورانت فصل الرجال والنساء في كتابه مباهج الفلسفة بهذه الكلمات: كان جوركي وتشيكون يتجولان في القرم فأقبلا على «تولستوي» الذي كان يجلس بجانب الشاطئ وقد مال برأسه يتأمل حتى مست لحيته الرمال. فجلسا الى جانبه وشرعا يتحدثان عن النساء. وظل تولستوي ساعة يصغي في صمت ثم قال فجأة: (أمّا أنا فلن أحدثكم عن حقيقة المرأة إلّا حين

---

(١) نفس المصدر: ص٢٦٩.

(٢) نهج البلاغة، تعليق آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، اعداد الاستاذ عبد الحسن دهيني، نشر دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ص٦٧١.

أضع قدمي اليمنى في القبر. سأعلنها صريحة، ثم أقفز في التابوت، وأغطي نفسي وأقول: (أفعلوا ما شئتم بي الآن)[١].

ولكننا لا ندري بالواقع أو تحقيقاً أن تولستوي ماذا أراد أن يقول بالتحديد، فهل أراد أن يقول قولاً يمدح من خلاله المرأة مدحاً يغيض الرجال عليه بِشدّة، بحيث يتعرض الى الإعتداء بسببه، أو أنه يقول عكس ذلك تماماً بحيث يؤدي الى إثارة غضب وغيض النساء عليه. عموماً يبقى المعنى في قلب «تولستوي».

والحقيقة أن المرأة قد شغلت حيزاً من التاريخ الإنساني العام، بحيث كانت لها مساحة شاطرت فيها المساحة التي شغلها الرجال. فمنذ زمن آدم وأمنّا حواء حيث لا ميثولوجيا ولا خرافات تحكمها الأمم البائدة، ثم تسري إلينا بتعاقب الأجيال لتصبح قوالب من السرديات، تعطى كالمغذي في كل عصر بحسب متخيلة وثقافة كل شعب التي تفرضها المنطقة والبيئة عليه.

فلا زالت المجتمعات لم توجد بعد، حتى تكون العامل الرئيس في تشكيل

---

(١) مباهج الفلسفة، تأليف ول ديورانت، تقديم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الإهواني، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م: ص١٧٩.

الإختلاف بين الذكورة والأنوثة، كما تذهب الدراسات الأنثربولوجية التاريخية أو الدراسات الجندرية الحديثة، حيث لا الإنتماءات العقائدية موجودة، ولا الغنى والفقر، ولا الحرية والعبودية، ولا ... ولا ... ولا يوجد لدينا مفاهيم لتفكيك البنية الثقافية في ذلك العصر للتوصل الى فهم ظاهرة الإختلاف بين الرجل والمرأة.

فظاهرة الإختلاف التي يحكيها السياق التاريخي الإجتماعي، وما أرسته السلطة باعتبارها هي جوهر الإجتماع، وبواسطها تبنى أساسيات النظام الذي ينبثق من خلاله القانون، وحينها سيظهر التمييز والتفاضل وما يسمح به، وما هو مرفوض، كل ذلك يجري بحسب المعرفة القَبْلية، بحيث تتشكل السلطة بمفرداتها المتعددة، كسلطة الثقافة وسلطة الإقتصاد وسلطة الدين، لتجتمع بالتالي مكونة نظاماً سياسياً خاصاً بها تتم من خلاله ادارة الأمور.

فمن هنا تظهر ظاهرة الإختلاف، ومن هنا تخرج الأيدي والقوى التي ترعاها لتثبتها في المجتمع.

ولذلك علينا أن نفهم شيئاً مهماً، قد وقع فيه إلتباس عند دارسي وباحثي موضوع الإختلاف، وخصوصاً أعمال ميشال فوكو وما أتت به التأريخية

الجديدة من أبحاث[1].

وهو أن المجتمع يوجد بوجود أفراده من النساء والرجال، وكذلك بوجود الإختلاف الطبقي واللوني، والإختلاف الديني، والإختلاف بالمستوى المعيشي، والحرية والعبودية الى غيرها من المسميات. هذا طبعاً باعتبار أنّ الأعمّ الأغلب من مجتمعاتنا هكذا بنيتها وقوامها.

فمن الخطأ القول بأن مظاهر الإختلاف هذه التي تتولد في المجتمعات، أو قل الأنساق السياسية والإقتصادية والدينية والرمزية وغيرها تساهم الى حد بعيد في إيجاد الإختلافات في الجسد، بحيث تمارس عليه السلطة والنفوذ والهيمنة، وتحويل ما هو معد لشيء ما الى غيره، لتحدد بالتالي علاقته بالمجتمع أو تنميط دوره فيه. واعتبارها بالتالي –أي الخلافات- كلها متصلة بعضها ببعض اتصالاً لا ينفك عن بعضه، لأنها تخضع للمنطق نفسه، وللأسباب نفسها التي تنتج حالات ومواقف مشابهة فيما بينها كالتهميش والدونية، وجسد مهيمن، وآخر مهيمن عليه، وجسد مدنّس رجس، وآخر مقدس طاهر وهكذا.

---

(١) ينظر: الإختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، آمال قرامي، نشر دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م: ص١٠.

فآدم وحواء حين وجدا، وجدا لوحدهما انثى ورجل لا غير، مخلوقان في عالم التكوين، وهناك إختلاف فيما بينهما من ناحية الجسد، وقد لاحظا ذلك وبالتأكيد كانا ملتفتين الى هذا الإختلاف، فلابد حينئذ أن يكون لكل منهما شأنٌ يختلف عن الآخر، فالجسد الأنثوي له خصائصه وميزاته البيولوجية والفسيولوجية، والجسد الذكوري أيضاً له خصائصه وميزاته البيولوجية والفسيولوجية، إختلاف من حيث الفاعل والقابل، فهذان الخلقان فيهما التباين والإختلاف من جهة، والتساوي والإتحاد من جهة أخرى، أو قل هناك أمور يتساوى الإثنان فيها من حيث العطاء الإلهي كالعقل مثلاً، فهما وإن كانا متساويان عند الرجل والمرأة، ولكن العقل نفسه، سيحكم بعدها بالإختلاف فيما بين الجسدين، وسيقر بالوظيفة المناسبة له، بحسب قابلية الجسد المودع فيه أو الممنوح له، سواء كان جسد أنثى أو كان ذكر، وهذا الأمر في غاية الأهمية، وعلينا الإلتفات إليه بجد، لأنّه سيحل لنا الكثير من الإشكالات والتساؤلات. حيث سيتعامل العقل بالمؤهلات والإستعدادت الماثلة أمامه لا غير، وإن حاول ان يتحرك بقابلية الآخر، واستعداده الممنوح له، فهنا سيصبح خلل واضح في البنية التركيبية للفرد نفسه، وللمجتمع من ناحية العادات والطبائع، أو من ناحية الوظائف المعرفية والعملية لكل منهما.

وهناك أمور يختلف الإثنان فيهما، أي يختص كل بصفاته البيولوجية

المختلفة عن الآخر، وأمر هذا الإختلاف، لا يتعدى حال نواميس الطبيعة، فكما إنّ الإختلاف بين الليل والنهار كوني، ومنذ أن وجدا هو هذا حالهما، ولا يمكن أن تتغير هذه السنّة الكونية، فالليل عبارة عن غياب للشمس، ليحل الهدوء والسكينة والخلود الى النوم والراحة، والنهار بشروق الشمس فيه، يكون باعثاً على تفتح الحياة حيث النشاط والعمل. وحينئذ لا يمكن أن تتغير الوظائف، بحيث وظائف الليل تنقل لتكون في النهار، ووظائف النهار تنقل لتكون في الليل. نعم يمكن احداث تغيير في بعض الأمور، إذا أردنا أن نستخدم القوّة والضغط، أو تغيير الواقع الإجتماعي نتيجة ملابسات خاصة، أو ظروف ضاغطة، ولكن سيكون هناك دمار وخراب للإنسان نفسه، لأنّه لن يقاوم ما يخالف فطرته طويلاً، وعندئذ سوف يهلك لا محال.

كذلك الرجل والمرأة كلٌّ قد زود بحسب الخلقة بأعضاء يختلف فيها عن الآخر، فلابد حينئذ يكون لكل عضو أثره في الحياة، ولا دخل للعادات المكتسبة والطبائع، ولا حتى السلطة أثرٌ في التغيير والتبديل، وإن فعلت فستكون النتائج وخيمة.

فعندما وجد آدم وحواء لا تزال عملية التنميط والتطبع الإجتماعي غير موجودة، فمثل هذه الأشياء هي والعدم سواء، فهل يبقى آدم ينظر الى حواء مجرد نظرة الإشتراك في هذا الوجود لا غير؟ بإعتبار أنّ التعامل لازال مجهولاً

بينهما، فلا أحد يعرف ما هي وظائفه، وما هي قابلياته، حيث لا تجارب مخزونة لكي تتولد منها استفادة ومعرفة، ولا هناك معرفة ذاتية آنيّة تعينهم في إنارة الطريق لهم.

ونحن نتكلم الآن عن آدم وحواء بنظرة تجرد عن الخالق –أي وجودهما ليس له إرتباط بالوحي والنبوة– إذن في تلك اللحظات من الذي علّمهما الطريقة التي يتم من ورائها الحمل ومن ثم الإنجاب، وكيف عرفا بأنهما يحتاجان الى الذرية، بل كيف عرفا الباعث والداعي لتشكيل أسرة، كيف يا ترى وزّعوا الأعمال بينهما، وعندما كبر بطن حواء كيف عرفا بأنّها حامل وفي داخلها جنين، فهم غير مسبوقين بتجربة كتلك، ولماذا لم يخف آدم عليه السلام من هذا الإنتفاخ الذي حصل لحواء، وهو يراه يكبر يوماً بعد آخر، وهو بالتأكيد لم يعرف بأن إنساناً سيخرج من هذا البطن.

ثم بعد أن جاء لماذا لم يتركانه، وكيف احتضناه، وإن كان ثدي حواء قد درّ بالحليب وغذّته، من الذي سهر عليه يراعي شؤونه ويقوم بأمره، فهذه الأسئلة وغيرها لابد أن يكون لها إجابة ولابد أن يكون في هذا الوضع أمران:

الأول: أن تكون هناك معرفة قَبْلية، قد سبقت وجود آدم وحواء، بحيث استندا واتكئا عليها في معرفة ما يفعلانه، وكيف تقسم الأدوار بينهما، بحيث

يؤدي كلٌّ منهما العمل المناسب له والخاص به، مع وجود بعض الأعمال المشتركة بينهما، لوجود عامل القدرة عندهما لأداء ذلك العمل.

الثاني: وهو وجود الخالق الذي أوجدهم على هذه الأرض، وحينئذ لابد أن يدبر شؤونهم، ويمدّهم بالمعرفة التامّة بما يقومان به، بعد تحديد دور كلٌّ واحد منهما في هذه الدنيا. وذلك على اعتبار أنّه لم يخلق الخلق عبثا ولم يتركهم هملاً، وهذا طبعاً من باب الرحمة واللطف الإلهي. وعندها سيكون دور كلٌّ منهما محدداً بأصل الخلقة، ليس أكثر من ذلك ولا أقل.

وبالتأكيد سيكون الأول باطل، إذ من غير الممكن لأي إنسان أن تكون له معرفة قَبْلية بالأشياء دون تجربة مستفادة من قبل.

إذن يلزم الأمر الثاني، وهو وجود الخالق البارئ الذي خلق الذكر والأنثى، وهو الذي علّمهما بما يقومان به، وبيّن لكل منهما وظيفته المناسبة لشأنه وخلقة. وهو تعالى الذي أوحى لنبيه آدم عليه السلام ما يجب عليه فعله، وما يجب عليها فعله، وجعل التعاون هو ثمرة هذا الوجود الإنساني.

ولكن تكثر البشرية ووجود الشيطان ونزعة النفس الأمّارة بالسوء، تغيرت عندها كثير من لوازم التربية التي نادت بها أسس الشرائع الحقّة، وتبدلت بحسب أهواء بني الإنسان، فأختلفت الواجبات والحقوق، وتبدلت

كثير من الوظائف، وازداد الظلم وظهرت مفاهيم الدونية والعبودية والاستنقاص والهيمنة، وظهرت المجتمعات البطريركية التي لها بنية إجتماعية تضع الرجال في مكان أعلى من النساء، وفي هذا النظام الأبوي للذكور، تجريم ورفض كل ما هو انثوي، أو كل ما يتعارض مع الصورة النمطية الجندرية للرجال.

واستمر هذا الحال حتى عند بعض الفلاسفة المتأخرين، أمثال «نيتشه» و «شوبنهور» حيث يقول نيتشه:(إذا أقبلت على المرأة فلا تنس أن تحمل سوطك).

ويقول شوبنهور في كتابه مقال عن النساء: (هذا الجنس القميء، ضيق الكتفين، عريض الحقوتين، قصير الرجلين).

والآن بعد هذا الطرح يمكن أن نجيب عن الإشكال بما يلي لكي تتم الصورة بشكل أكمل:

إنّ الله عزّ وجلّ عندما خلق الإنسان وجعله ذكر وأنثى من أجل أن يشتركا معا في هذا الوجود، لتشكيل صفحة التكامل المراد من وجودهما، ومن ثم تحقيق الهدف من هذا الخلق، الذي أخذ المصلحون على عاتقهم ترتيب وتهيئة السبل الكفيلة بإتمام هذا الأمر.

وعندما خلق الذكر جعل له مواصفات وسمات وقابليات تناسب شأنه، وتناسب الدور المنوط به، وكذلك في خلقه للأنثى جعل لها مواصفات وسمات وقابليات تناسب شأنها، وتناسب الدور المنوط بها.

وعلى هذا الأساس هناك أمور مشتركة بين الطرفين يؤديانها بالحد المشترك من القابلية التي منحت لهما، وهناك أيضاً أمور تخص الرجال دون النساء، لا يمكن للمرأة أن تقوم بها، وأمور تخص النساء لا يمكن للرجال القيام بها.

فمثلاً لو أتينا على مسألة الحمل عند المرأة فمن الناحية الفسلجية والبيولوجية تكون هي مهيأة لعملية الحمل والإنجاب بشكل الكامل، وعند خروج الطفل يحتاج الى نوع من التربية والإهتمام كالإرضاع وغيره، مضافاً الى ما تفيض به من العاطفة والحنان، لا يمكن للرجل أن يعيش هذه المراحل ويؤدي هذا الدور المنمط للمرأة. وذلك لأن الفيض الوجداني والتأثير العاطفي الذي ينبع منها يكون في المستوى الذي يحتاجه الطفل وزيادة، ولم يأتي هذا الأمر نتيجة أن المرأة قد تدربت وتهيأت للقيام بمثل هذا الدور، أو حتى أنها تأثرت بنمط بيئي معين بحيث يجبرها بالتالي على القيام به كما تشير بعض الدراسات الجندريه لذلك.

وإنّما المرأة قد زودت بالقابلية المناسبة بأصل الخلقة، أو قل هي لديها

الاستعداد الكلي للقيام بهذا الدور، وما أتى هذا الإستعداد من دون وجود قوى لها قابليات لمثل هذا العطاء الزائد من العطف والحنان. وأما البيئة والعادات والطبائع التي تنتظم في السلك الاجتماعي العام، فسيكون لها دور الموجه والمعدل للسلوك نتيجة التجربة والتكرار.

فعلى سبيل المثال، هناك وجود لخصائص فسلجية في المرأة، تمنحها الرقة والجمال في الغالب، بحيث لا دخل للمرأة في إيجادها، فيكون دور البيئة والمجتمع هو التعديل والترتيب، بحيث إمّا يبرز هذه الصفات والخصال، أو يتسبب في ضمورها وعدم وضعها في مكانها المناسب، لوجود الظروف القاسية أو الجهل أو التعمد والى غيرها من الأسباب.

أما لو أتينا ونظرنا الى القوة العضلية عند الرجل، وكذلك القدرة على تحمل المشاق والصعاب والمطاولة، فهنا نجد أيضاً هناك بناء فسلجي خاص بالرجل يمدّه بهذه الخصال. وتأتي البيئة والبناء الاجتماعي من تكوين الأسرة واحتياجاتها، ومن ثم القبيلة وعاداتها، والمجتمع وقوانينه، ليعزز هذه الفوارق بين الرجل والمرأة، ليعرف كل منهما ماله وما عليه.

تتولد هذه الأشياء ثم يأتي دور المشرع أو الشريعة منذ بزوغها الأول لتمارس عملية التقنين في تثبيت ما هو صحيح ورفض ما هو باطل، ومن ثم

إضافة عوامل التغيير والتعديل في ظواهر وكوامن النفس الإنسانية وكلٌّ بحسبه.

هذه الإختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة، هي التي يتولد منها علاقة يكمل بواسطتها كلٌّ منهما الآخر، ليسيرا ضمن التخطيط الإلهي العام لنمو وسعادة البشرية، ولا يمكن أن يتكامل الرجل دون الإرتباط بامرأة ،ولا المرأة لها أن تتكامل دون الإرتباط برجل.

وإن سأل سائل وقال فكيف بمريم عليها السلام فإنها لم ترتبط برجل طول حياتها، وقد نذرت حياتها لخدمة الرب، وجواب ذلك يكون من عدّة وجوه منها:

١ – إنّ مريم عليها السلام كان لها حكمها ووضعها الخاص، كونها مصطفاة لهذا الأمر إصطفاءً من بين نساء العالمين، وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ فكان اصطفائها هو أنّها قد أختيرت من بين كل النساء لأن تلد عيسى عليه السلام من غير أب. وعلى هذا الأساس يكون حال مريم عليها السلام مختلفاً تماماً عن نظائرها من النساء الأخريات وهذا مما يجب أن يكون واضحاً ولا لبس فيه.

٢- إنّ الطريق الطبيعي لنوع من أنواع التربية والتكامل هو الإرتباط الشرعي بين الرجل والمرأة، فإن حدثت ظروف معينة قد لا يتمكن من خلالها الرجل من الزواج وكذلك المرأة. ولأسباب قاهرة لا يمتلك الإنسان قبالها أية إرادة وإختيار، ففي تلك الحالة وكما قيل: (كل ما غلب الله عليه فالله أولى بالعذر) وبما أنّ الله عزّ وجلّ عادلاً وكريماً وجواداً وحكيماً، فلابد من أن يهيء مقاصد أخرى تكون بديلة عن الأولى، والتي كانت من المفروض أن تُهيأ بالزواج، وهذه الأمور البديلة دائماً ما تكون بالإضطرار ودون الإختيار. وقد تكون في الغالب طرقها وأسبابها التكاملية أصعب وأقهر، وهذا يحدث للتعويض عن أثر الأمر الأولي المباشر وفاعليته الكبيرة في إحداث التكامل الذي يحتاج الوصول الى رتبته جهداً وعناءً أكبر من الأمر الطبيعي.

إذن نتيجة لهذا الرأي أي هناك تكامل لا يمكن للرجل أن يصل إليه إلّا بالإرتباط بالمرأة، وكذلك للمرأة تكامل لا يمكن لها أن تصل إليه إلّا بالإرتباط بالرجل، وهذا النوع من العلاقة يعتبر من الآيات الكبيرة لله تعالى في خلقه، التي يبين من خلالها قوّة المودة والرحمة وتأثيرها بين الزوجين، والتي يتم بوجودها إستمرار النوع الإنساني، والحفاظ عليه أخلاقياً وإجتماعياً وصحياً، ضمن إطار عائلي يسمى الأسرة، التي بدورها تشكل النواة الأولى لبناء

المجتمع.

ونتيجة لهذا الطرح سوف تُحل إشكالية قول أمير المؤمنين عليه السلام في حق المرأة عندما قال: (المرأة شر كلّها، وشر ما فيها أنّه لابد منه)، أي شر كلها باعتبار أنها أرض أكثر خصوبة من الرجل في التعامل مع الشرور، وذلك بسبب غلبة العاطفة على التفكير العقلي والمنطقي. وعندما أعتبر هذا الأمر شراً، فهو بالنظر الى مفهوم الشر على أنّه مفهوم تشكيكي، يصدق على أقل الشرور وصغر تأثيرها، الى أكبرها عمقاً وتأثيراً، فما دامت المرأة لا يفارقها الإستعداد لقبول دواعي الشر في الغالب، أعتبرت ولو مجازاً أنّها شر كلّها، ولكن بالرغم من وجود هذه الخاصية التي فيها، فهي تبقى ملازمة للرجل في تكامله، وحينئذ يصبح الاحتياج إليها لابدّياً لعدم وجود البديل عنها.

وأمّا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبات أخرى عن المرأة، مثلاً قوله بعد فراغه من حرب الجمل: (... إنّ النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول: فأمّا نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمّا نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال. فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر).

وقوله عليه السلام: (... فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول ..)[1].

فأما قوله عليه السلام نواقص الإيمان ونواقص الحظوظ ونواقص العقول، فلم يكن هذا الحكم نتيجة تجربة شخصية خالصة، أو مشاهدة مع الآخرين وإتحاد في رأي فيما بينهم، وإنّما هو حكم شرعي من قبل الله تعالى، وقارن هذا الحكم مع الواقع الذي يعيشه الرجل في عالم التشريع، فكانت النتائج إنهن ناقصات الإيمان بسبب قعودهن عن الصلاة والصيام أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن لشهادة إمرأتين مقابل شهادة رجل واحد، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن انصاف مواريث الرجال، وفي ذلك أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الى مسائل ثلاث مهمة جداً وهي:

الأولى: عندما أشار الى مسألة الحيض، فهو يشير الى طبيعة البيولوجية للمرأة وما يتحتم عليها نتيجة الأمور المركبة التي بيّنها علم وظائف الأعضاء.

إذاً فهي من هذه الناحية محكومة ببعد خَلْقي، لا يمكن التخلص منه أو تطويره أو تحويره. وبالتالي ستكون له آثار تؤدي الى صدور أحكاماً خاصة بالمرأة، من أجل الحفاظ على منحى معتدل لها، تتمكن من خلاله معرفة ما

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ص٤٧٢.

يتطلب منها في حلات الحيض والإستحاضة والنفاس وغيرها.

الثانية: وأمّا عندما أشار سلام الله عليه الى نقصان العقول، فهو ليس في مقام التوهين والتحقير، وإنّما يمكن أن نضع هنا مباني نظرية أو قل أطروحة، يمكن لنا من خلالها عبر هذه الإشكالية أو هذه الصدمة، التي يقف قبالها الكثير موقف المتحير، لعدم القدرة على الإجابة عليها لوجود أمران هما:

١- هناك كثير من النساء متفوقات عقلياً على غيرهن من الرجال وبمسافات طويلة، وكثير منهن على مستوى عال من الفهم والنضج العقلي، بحيث يتفوقن على عقول الكثير من الرجال. فكيف والحال هذه يوصفن بأنهن ناقصات عقول؟

٢- إنَّ قائل هذا الكلام هو سيد البلغاء وعظيم الحكماء وسيد الأوصياء وأمير المؤمنين، فكيف نوفق بين قوله عليه السلام، وبين ما نراه من مثل هذه الحالات التي ذكرت في الأمر الأول.

في الحقيقة إنّ الإنسان بغض النظر عن كونه رجلاً أو امرأة فهو يتكون باعتبار من الاعتبارات:

١- القلب.

٢- النفس.

٣- العقل.

٤- الروح.

أما القلب، فهو سبب العواطف والانفعالات، كالحب والبغض والحنان والفرح والرضا وأي شيء يقع ضمن هذا السياق.

وأمّا النفس، فالحقيقة أن النفس تعرف بآثارها لا بوجودها، وعلمها حضورياً وليس حصولياً، وهي سبب الشهوات، مثل الجوع والعطش والجنس وغيرها من الأمور.

وأما العقل، فينقسم الى العقل النظري ويطلق عليه أحياناً القوّة العلّامة، وهو إدراك ما ينبغي أن يُعْلَم. والعملي ويصطلح عليه أحياناً بالقوّة العمّالة أو المحركة، أي هو إدراك ما ينبغي أن يُعْمَل، وهناك في الحقيقة الذهن الذي هو سبب التفكير والنسيان، فهناك صورة ذهنية وهي التي يتكلم عنها المناطقة كثيراً، والذهن غير العقل، فهو معلول العقل وليس هو العقل كما قد يظن ويتصور، فالعقل هو القوّة الدرّاكة للكليات النظرية والعملية.

وتبقى الروح أعلى من هذه القوى كلّها وهي فوقها، وليس محل النقاش فيها الآن فهناك قول ينقله حسن زاده آملي عن القيصري بشأن الروح: (... إنّ الروح الأعظم الذي هو في الحقيقة هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من

حيث ربوبيتها لذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا أن يروم وصلها رائم، الدائر حول جنابها يحار، والطالب نور جمالها يتقيد بالأستار، لا يعلم كنهها إلّا الله، ولا ينال بهذه البغية سواه)[1].

وهنا يمكن لنا أن نعرض تساؤل وهو: هل للشيطان نحو علاقة وتأثير على القلب والنفس والذهن والعقل والروح، أم ليس له ذلك وهو بعيد كل البعد عن هذا المنال؟

في الحقيقة خير من يعطينا جواباً شافياً هو القرآن وذلك من خلال أمرين:

الأول: إنّ الله عزّ وجلّ هو خالق الخلق ويعلم بدقائق الأمور وخفاياها وقابلياتها كلّها عنده، وهو أقرب للإنسان من حبل الوريد (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ولذلك قال عزّ من قائل في أكثر من آية:

- ﴿وَإِمَّا يُنسِينَّكَ الشَّيطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الانعام٦٨.

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ الاعراف٢٠

- ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) يوسف٤٢.

---

(١) عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون، آية الله حسن حسن زاده آملي، الناشر مؤسسة انتشارات أمير، طهران.

- ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشيطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف٦٣.

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشيطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الحج٥٢.

- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشيطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ الصافات٤١.

ففي هذه الآيات المباركات يبين الله تعالى أن هناك للشيطان نحو من أنحاء التدخل والتأثير على بني الإنسان، فيريد أن يحذرك من هذا التدخل والتأثير، ولذلك عليك أن تكون مستعداً للمواجهة.

الثاني: إن الشيطان له خبرة لها من العمق الزمني الشيء الكثير، وقد مارس اثناء وجوده مع الجن ومن ثم مع الملائكة أدواراً متعددة من العبادة المعقدة والشاقة، حتى وصل الى مقام الملائكة، بحيث شمله الخطاب الإلهي الذي كان موجهاً الى الملائكة بقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) البقرة٣٤، وكونه أصبح ملكاً بالحمل الشايع الصناعي، شمله الخطاب ولعدم تنفيذه لمضمون الخطاب، خرج من حضيرة الله ورحمته الى غضبه وانتقامه.

المهم فإن هذه الخبرة التي امتلكها نتيجة رحلته الطويلة في عالم العبادة والطاعة، استطاع أن يشخص الطرق المؤدية الى باطن الإنسان، ومن ثم

الوسوسة والإلقاء فيها، وعَلِم في نفس الوقت على من تؤثر، وعلى أيّهم لا تؤثر، ولذلك قال مخاطباً بغرور: ﴿... **وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ الحجر٣٩-٤٠، فهو قد عرف بأن هناك عباد مخلصين، توجد حجب تمنعه من الوصول إليهم، ولكن على العموم فإنه علم باستطاعته التسلط على الكثير من الناس، ليكونوا في درب الغواية والضلال.

وبعد أن تبين أن للشيطان تأثيراً معيناً على الإنسان، فهنا يعرض تساؤل آخر، وهو على من يؤثر، هل على القلب والنفس والذهن والعقل والروح دفعة واحدة، ويكون له نحو من التسلط عليها كلّها، أم لا، يكون له تأثير وعلاقة مع بعضها وليس كلّها؟.

في الحقيقة كما قلنا أنّه لا يستطيع أن يؤثر على الروح، ولا يستطيع أن يصل إليها لأنها سماء يرجم دونها، وكذلك لا يستطيع الوصول المباشر والتأثير على العقل، لكنه له تسبيب بالواسطة للوصول إليه، ولذلك يقول السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره: (نجد أن شياطين الإنس يستخدمون عقولهم بأدق ما يستطيعون في سبيل تمشية شهواتهم الشيطانية)[1].

---

(١) مواعظ ولقاءات، آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، نشر هيئة تراث السيد الشهيد الصدر قدس سره، النجف الأشرف، بيروت، ٢٠١٣ – ١٤٣٤هـ: ص٣٥٠.

أمّا القلب فيستطيع السيطرة عليه باعتباره كما قلنا أنه محطاً للعواطف. وأما النفس فهي مسيطر عليها لوجود الاتحاد والسنخية ما بين النفس والشيطان، حتى ذهب جملة من العارفين الى أن يقولون: (هي عينه وليست غيره).

وأمّا الذهن الذي هو سبب التفكير والنسيان، والله يقول في كتابه: ﴿**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشيطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ الكهف٦٣، فهنا يكون النسيان بيد الشيطان وكذلك بيده التذكير، أي التسبب الى تذكر فكرة، وكذلك التسبب في نسيان فكرة.

فيكون الموقف بهذا الشكل: هو يؤثر على النفس بحيث ترغب في الشر وارتكاب المحرمات وحينئذ تستخدم الذهن لأجل الوصول الى الحرام[1].

يحدث هذا على اعتبار أن هناك عدوين للإنسان الأول داخلي وهو النفس الأمّارة بالسوء، والثاني هو الشيطان – ولولا النفس لما استطاع الشيطان أن يخدع الكثير من الناس ويجعلهم ألعوبة – ولذلك فالنفس الأمّارة بالسوء هي الحاضنة الحقيقية لوسوسة الشيطان[2].

---

(١) نفس المصدر: ص٣٤٩.

(٢) إصلاح النفس، ابحاث السيد كمال الحيدري، بقلم طلال الحسن، نشر مؤسسة الجواد للفكر والثقافة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م : ص٢٧٢.

وعموماً بما أن العقل والنفس لهما تجاوب وتبادل ونشاط، أي أنّ العقل يمكن أن يؤثر على النفس، والنفس تستطيع أن تؤثر على العقل، فالشيطان له باب من هذه الناحية، وهو أن يؤثر على النفس، والنفس تؤثر على العقل، أو مثلاً هو يؤثر على القلب، والقلب يؤثر على النفس، والنفس تؤثر على العقل، بالنتيجة – الشيطان – له طريق الى العقل، وليس منسداً بابه، نعم في مقابل ذلك أن العاقل الذي يعرف جملة من الحقائق له قوّة إرادة ضد هذا المعنى، لأنّه كما أن النفس تؤثر على العقل فتستعبده، كذلك العقل يؤثر على النفس فيستعبدها [1].

والآن بعد هذه المقدمة علمنا بأن هناك تأثيراً من قبل الشيطان على القلب والنفس، يستطيع من خلالهما أن يصل الى الذهن والعقل، وحينها يستطيع أن يغير الكثير من التصرفات والقرارات التي يتخذها أو يخطط لها العقل.

وبمعنى آخر أن الذهن والعقل، حينما يريدان أن يشكلان صوراً ذهنية، ومن ثم اتخاذ ما يلزم قبالها من تصرفات في عالم الخارج، فسيعتمدان كثيراً على ما يقدمه لهما القلب والنفس – بغض النظر عمّا إذا كان القلب والنفس قلباً طاهراً ونفساً مطمئنة أو قلباً فاسداً ونفساً أمارةً بالسوء – وبما أنّ الطبيعة السيكولوجية للمرأة من ناحية العواطف – كالحب والبغض والحنان – ومن

---

(١) مواعظ ولقاءات، مصدر سابق: ص٣٥٠.

ناحية الشهوات والميل الوجداني تختلف عن الرجل، وهي لشدتها سوف تنجذب وتميل في الغالب بصورة أكثر لمتطلبات الشيطان، على اعتبار أن الفروق بين الجنسين في السلوك متصلة بالمخ حتى وإن كان التطور العصبي يتوقف الى حد كبير على الخبرات، أي أن معاملة البنين والبنات تستطيع أن تغير في كل من المخ والسلوك[1].

وفي هذا الصدد يقول ول ديورانت: والمرأة أكثر من الرجل تعبيراً، لأنها في الغالب أشد خضوعاً للوجدان والإنفعال، وهذا هو السر في أنها أكثر قبولاً للأمراض العصبية كالكوريا والرجفة والهستريا والتلبس والخوف والأوتوماتزم والوساطة الروحية[2].

ونقلت مجلة المرأة المعاصرة في عددها (١٠١) بحثاً نفسياً لسيدة مختصة بعلم النفس تدعى (كليود ألسون) تقول فيه: (بصفتي عالمة نفسية فإن لي ارتباطاً أعمق مع دراسة الميول النفسية للرجال. لقد كلفت منذ زمن بالبحث عن العوامل السيكولوجية للرجل والمرأة، وانتهى بحثي إلى النتيجة التالية:

١ - تميل سائر النساء للعمل تحت إشراف شخص آخر.

---

(١) مباهج الفلسفة، مصدر سابق: ص١٨٨.

(٢) ينظر مدخل علم النفس، لندال دافيدوف، نشر الدار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤ : ص٧٧٠.

٢- ترغب سائر النساء لان يتوفرن على الإحساس بأن وجودهن مؤثر، وهو مورد حاجة الآخرين).

ثم تبرز وجهة نظرها بالنحو التالي:

(أعتقد أن ميل النساء في النقطتين أعلاه ينشأ جرّاء: كون النساء يتأثرن سلوكياً بالعنصر العاطفي، بينما يحكم العقل سلوك الرجال. فقد شوهدت الكثير من النساء لا يتساوين مع الرجال في الاستعداد الذهني فحسب بل يتفوقن عليهم أحياناً في هذا المجال.

غير أن نقطة ضعف النساء تنحصر في عواطفهن الشديدة، فالرجال يفكرون - على الدوام - بطريقة أكثر عملية، تقييمهم أفضل، وقدرتهم على القيادة والتوجيه أكبر. إذن التفوق الروحي للرجال على النساء أمر صنعته طبيعة الخلق، ومهما حاولت النساء أن تناضل ضد هذا الواقع فلا محصلة لهذا النضال. يتحتم على النساء الرضوخ لهذا الواقع، أي حاجتهن لإشراف الرجال في حياتهن، بحكم كون النساء أشد عاطفة وأرهف حساسية ...)[1].

ولشدة عاطفة المرأة كما ذكرنا سابقاً، والتي تناغمت وتناسبت مع احتياج

---

(١) حقوق المرأة في النظام الإسلامي، الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة حيدر الحيدر، نشر الدار الإسلامية، قم، ط١، ١٤٠٥هـ: ص٢٠٠.

الطفل لها، وكذلك حنانها الذي تحتاج له الأسرة، ولوجود آثار وخصال الرقة والجمال فيها، حينئذ سوف يكون باب التعامل معها من قبل الشيطان مفتوحاً بسعة أكبر، مما هو عليه الحال مع الرجال، ولذلك سيستطيع من خلال هذه المدخلية التأثير على العقل عاطفياً ووجدانياً، بحيث يجعله يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، بحسب شدّة وتأثير الموقف ولذلك أصبح حال المرأة في الشهادة على سبيل المثال لا تتقوم إلّا بامرأتين، فإذا تأثرت احداهن وتلاعبت بعقلها العواطف والهواجس، عسى أن تذكرها الأخرى وتسحبها لبساط الحق والحقيقة.

إذن فالإمام عندما يتكلم عن مثل هذا النقص في المرأة، فهو يتكلم من هذا الباب وليس من باب أن عقلها بما هو عقل مستقل فيه نقص في الخلقة، ويحتاج الى من يكمله، أبداً فإن الخلقة واحدة للعقل عند الرجل والمرأة بلا خلاف، ولكن الإختلاف وجد من جهة المؤثر الخارجي على العقل. أي أنه وجد في فاعلية وقابلية أدواتها المعرفية والحسية.

وعلينا أن نعلم بأن هذا التسلط من قبل إبليس، هو ليس على نحو الإطلاق والتساوي بالتأثير على جميع البشر، وإنّما في الحقيقة أنّ معدّه وشرطه – أي تسلط ابليس – هو قابلية النفس لطاعة الشيطان والتعلق بهواه.

وعلى هذا الأساس، فإن تأثير إبليس سيكون تأثيراً اقتضائياً على من يعطي

نفسه له. وإلّا من لا يعطي نفسه له فليس له أي تأثير عليه.

وعليه فإنّ ما ورد في ذم النساء من قبل أمير المؤمنين أو غيره من المعصومين عليهم السلام، هو صفة عامة ومطلقة أم قابلة للإستثناء؟

والحقيقة يمكن الإجابة عن ذلك من خلال القرآن الكريم، فإننا لو لاحظنا أو نظرنا الى بعض من آياته المباركة مثل: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ الاسراء ٧٠، فهنا توجد كرامة لبني آدم. وهي كرامة تكوينية، من آثارها أن ينعم الإنسان بكثير من وسائل الراحة نتيجة ما يمتلكه من تفكير، وهذا التفضيل وهذه الكرامة الممنوحة له هي ثابتة ولم تتغير، فالأفضلية لبني آدم موجودة في الحاضر، كما هي في الماضي، وستستمر الى انقضاء الدينا وما بعدها. ولكن السؤال هنا هل هي كرامة مطلقة، أم هناك استثناءات، وخصوصاً عندما يخرج الإنسان عن جادة الحق والصواب والتكامل، سالكاً طريق الغواية والضلال والإنحراف.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي حول آية: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**... ﴾ ظاهر هذه الآية الشريفة أنّها في مقام تفوق الإنسان في القوّة والاستعداد الوجودي بالنسبة لسائر الموجودات، وليس لإثبات حق

للإنسان، بل بالعكس فإنها بصدد بيان هذه النقطة المهمة وهي: أننا قد وهبنا الإنسان الكثير من النعم فعليه أن يؤدي وظيفته في الخضوع والعبودية لله تعالى، وحتى لو افترضنا أنه يمكن من هذه الكرامة التي وهبها الله للإنسان استنباط حق قانوني له. لكن ذلك لا يعني أبداً حفظ كرامته وحرمته حتى لو ارتكب أفظع الجرائم. فأحياناً يصبح الإنسان بتصرفاته الإجرامية أسوأ من أي حيوان آخر ... والله الذي أنزل آية ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا** ... ﴾ قد أنزل أيضاً آية أخرى يقول فيها حول الإنسان: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ الاعراف ١٧٩ ... وكذلك ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ محمد١٢[1].

من هذا الباب يكون قول أمير المؤمنين عليه السلام، لا على نحو العموم والإطلاق بالنسبة للنساء، فكما أنّ الإنسان إذا خرج عن حضيرة الطاعة والإلتزام بالواجبات الشرعية والنواحي الأخلاقية والإنسانية العامة، فإنّه لن يكون مشمولاً بالتكريم التكويني، على اعتبار أنّه قد انسلخ من هذه الكرامة

---

(١) النظرية الحقوقية في الإسلام، آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة خليل عصامي الجليحاوي، نشر دار الولاء، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ج١ ص٢٩٥.

التي منحها الله له بالإختيار، فيتحول كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

وكذلك الأمر مع النساء، فالتي تستطيع أن تخرج من شباك الشيطان وتقتل النفس الأمارة بالسوء، والعمل دائماً للإستجابة للنفس اللوامة، والسعي الحثيث لجعل النفس المطمئنة هي المتسيدة في كيانها. وذلك بإبعاد المصاديق المرتبطة بالقلب عن هوى الشيطان، باعتبار أنّه ليس له سلطان على الكبريات، فحينئذ ستكون مستثناة من قول أمير المؤمنين، وستدخل في آيات التكريم وحسن التقويم للإنسان بشكل عام، وكذلك في الآيات التي بينت فضلهن وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ الأحزاب٣٥، وكذلك: ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾ التحريم٥.

إذن فأعلم إنّ رقة القلب، وهيجان العاطفة، وجمال الهيئة والمنظر، ولين النفس، من لوازم وضع المرأة الطبيعية، وهي في واقعها كمال ذاتي لها، تستطيع متى ما تصرفت بهن تصرفاً صحيحاً أن ترتقي الى مراتب الكمال العليا التي

تنافس بهن مراتب الكمال التي هيأها الله عزّ وجلّ للرجال الخواص والكمّل والتي امتازوا بها عن النساء.

أي أن هناك صفات وسمات مشتركة بين الرجل والمرأة يوصلان من خلالهما الى مراتب معينة من الكمال. وهناك صفات خاصة بالرجل دون المرأة وبالعكس، ومن خلال هذه الصفات والتصرف الصحيح معها، والذي غالباً ما يكون للشريعة دخل فيه، يولد تكامل آخر لكل منهما، فمن أحسن التصرف على أكمل وجه، علا على صاحبه وإن تساووا في حسن التصرف والإمتثال، إرتقى كلا الطرفين بمدارج السمو والخير والبركة دون فرق بينهما.

إذن من مجمل ما قدّمناه وما تعرضنا له، يمكن أن يرى أفضلية فاطمة الزهراء كونها سيدة لخيرة النساء اللواتي استطعن أن يطهرن أنفسهن وقلوبهن وعقولهن، ويتوجهن لما أمرهن الله تعالى بالإتيان به والإبتعاد عما نهاهن عنه. فأصبحن بالتالي نساءً مسلمات مؤمنات قانتات صادقات صابرات خاشعات متصدقات صائمات حافظات لفروجهن وذاكرات الله كثيراً.

أما بالنسبة للنساء اللواتي بقي الشيطان قابعاً ومتسلطاً على قلوبهن وأنفسهن، فهي أيضاً سلام الله عليها سيدة عليهن رضين بذلك أم رفضن، ولكنهن على كل حال عاصيات وغير مطيعات لسيدتهن، فكما أنّ الله ربّ

البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، فلا تضره معصية العاصي ولا كفر الكافر، ويبقى هو الخالق وهو الرب، كذلك تبقى الزهراء عليها السلام سيدة على المرأة المؤمنة والكافرة، والبرّة والفاجرة. لأن وجود الزهراء وما تقوم به هو جزء لا يتجزأ من المنظومة الإسلامية في رؤيتها الشاملة للكون وعناصره.

بكاء فاطمة الزهراء

صـــراخ وعويل

أم

دموع وبيان؟

❖ نموذج من الروايات حول بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام.

❖ رأي الشيخ محمد السند في مسألة بكاء الزهراء.

❖ الإشكالات والتعليقات على الروايات.

أولاً: فاطمة الزهراء عليها السلام لا تؤذي الآخرين.

ثانياً: فاطمة الزهراء كانت تقوم بفعلين؛ البكاء والدفاع عن أمير المؤمنين.

ثالثاً: القوم يخافون من حجج فاطمة الزهراء التي تلقيها على أسماع المسلمين.

❖ التدرج في سلب النعمة.

❖ عرض قراءة أخرى لمسألة منع الزهراء من البكاء.

نموذج من الروايات حول بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام

قضية بكاء مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وحزنها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه واله، وما خلفه هذا الواقع المأساوي للزهراء، من ألم وآهات وحزن عميق ، بحيث نقلت بعض الروايات، بأن هناك فريقاً من المسلمين ثقل عليهم بكاؤها، فجاؤا الى أمير المؤمنين عليه السلام، وطلبوا منه أن يجد لهم حلاً في مسألة هذا البكاء! لأنهم قد تأذوا منه، فلا يستريحوا أو يهدأ لهم بال، كون دارها ملاصقة لجامع الرسول، الذي يعتبر مركزاً رئيسياً لاجتماعاتهم، ولذلك قام الإمام عليه السلام ببناء بيت الأحزان[1] وأبعده عن بيوت المدينة.

هذه القضية وردت في الكثير من المصادر، ونتحدث بها في المجالس وعلى المنابر وفي بطون الكتب، بما هي عليه من دون التثبت والتريث من أجل الوصول الى الفهم الصحيح والمناسب لمقام العصمة وشأنياتها، وما يستتبع

---

(١) يصف الرحالة بورتون في عام ١٨٥٤ مقبرة البقيع ثم يحدد موقع بيت الأحزان جنوب قبة العباس بن عبد المطلب حيث كانت من أكبر وأجمل القباب وقد بناها الخلفاء العباسيون في سنة ٥١٩هـ، وقد أقيم مسجداً صغيراً في مكان بيت الأحزان، وتقول بعض الروايات أن فاطمة الزهراء عليها السلام قد دفنت فيه. ينظر موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي: ج٣ص٢٨٥.

ذلك من صدور أقوال وأفعال لهم سلام الله عليهم، بحيث تناسب وجودهم في هذه الدنيا فضلاً عن الآخرة.

جاء في كتاب حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء:

وكان شبح أبيها يتابعها في كل فترة من حياتها القصيرة الأمد وهي غارقة في البكاء، ويقول المؤرخون: إن القوم قد ثقل عليهم بكاؤها لأن منزلها مجاور الى جامع الرسول الذي كان مركزاً لاجتماعهم، فشكوا أمر الزهراء الى الإمام وطلبوا منه أن تجعل وقتاً خاصاً لبكائها ولوعتها على أبيها، لأنّهم لا يهجعون ولا يستريحون، فأعلمها الإمام أمير المؤمنين فأجابته الى ذلك، فكانت في النهار تخرج ومعها ولديها الحسنان وبنتها سيدة النساء زينب الى شجرة من الأراك تقع خارج المدينة فتستظل تحتها، وتأخذ بالبكاء على أبيها طيلة النهار، فإذا أوشكت الشمس بالغروب قفلت مع أبنائها الى دارها حتى خيّم عليها الأسى والحزن، وعمد القوم الى تلك الشجرة فقطعوها، فكانت تبكي في حر الشمس، فقام الإمام امير المؤمنين فبنى لها بيتاً سمّاه بيت الأحزان ، ظلّ رمزاً لأساها وما عانته من الأذى من صحابة أبيها.

وكانت سيدة نساء العالمين تمكث نهارها في ذلك البيت الحزين وهي تناجي أباها وتبكيه أمرّ البكاء وأقساه، فإذا جاء الليل أقبل الإمام عليه السلام فأرجعها مع ابنائها الى الدار[١].

وجاء في كتاب بضعة المصطفى:

وأمّا فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذّى بها أهل المدينة فشكوا ذلك الى أمير المؤمنين عليه السلام، فبنى لها بيتاً خارج المدينة وسمّاه (بيت الأحزان) بعد أن كانت تخرج فتستظل بشجرة عن حرارة الشمس وتبكي عندها، فقطعوا تلك الشجرة! فكانت تجلس في الشمس وتبكي الى أن بنى لها أمير المؤمنين عليه السلام البيت المعروف، فكانت تخرج إليه أول النهار، فإذا جن الليل جاء إليها أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بيدها الى البيت[٢].

---

(١) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء، باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، نشر دار الذخائر الإسلامية، قم، ط٦، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: ص٣٦٣.

(٢) بضعة المصطفى، السيد مرتضى الرضوي، نشر مؤسسة السبطين العالمية، قم، ط١، ١٤٢٦هـ: ص٣٥٥ نقلاً عن مثير الأحزان ج٢ ص٢٤٤.

ثم يقول: وفيما روي عن فضة: أن الزهراء عليها السلام زفرت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وأنّت أنّة كادت روحها أن تخرج... الى أن قالت:

إلهي عجّل وفاتي سريعاً فقد تنغصت الحياة يا مولاي، قالت : ثمَّ رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها، وهي لاترقأ دمعتها ولا تهدأ زفرتها.

وأجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن، إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منّا يتهنّأ بالنوم في الليل على فرشنا ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام: حباً وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العّزاء، فلمّا رأته سكنت هنيئة، فقال لها:(يا بنت رسول الله، إنَّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإمّا نهاراً، يا أبا الحسن، ما أقلَّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم،

فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً حتى ألحق بأبي رسول الله، فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك...)[1].

ويقول السيد محمد كاظم القزويني قدس سره:

لا أعلم ما كان تأثير بكاء السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في النفوس المريضة حتى شعروا بالانزعاج، وهل بكاء امرأة جالسة في بيتها يسلب الراحة من أولئك الشخصيات الفذة؟... نعم إن شيوخ المدينة لا يعرفون حق رسول الله صلى الله عليه وآله وقدره ومنزلته، فلو كانوا يعرفون ذلك لكانوا يشاركون ابنته الوحيدة في البكاء ويساعدونها في ذرف الدموع على أشرف ميت وأعز فقيد.

وياليتهم حين لم يشاركوها، ولم يساعدوها كانوا يسكتون ولا يمنعونها عن البكاء على مصائبها العظيمة. ولكنهم معذورون، لأن السياسة فرضت عليهم أن يمنعوا حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله عن البكاء على سيد الأنبياء ...فبنى لها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً نازحاً عن المدينة سُمّي (بيت

---

(١) المصدر نفسه: ص٣٥٦ نقلاً عن البحار ج١٠.

الأحـزان)، وكانـت إذا أصـبحت قـدّمت الحسـن والحسـين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزلها.

فليهنأ أولئك المنزعجون عن بكاء فاطمة !! ولترتاح ضمائرهم، ولينام وا على فرشهم ليلاً نومة عميقة هنيئة بدون أن يشعروا بالأذى من بكاء فاطمة العزيزة[1].

حتى أنّ كثيراً من الشعراء أخذ هذا المعنى فصاغه على شكل أبيات نذكر منها:

قال أحدهم:

منعوا البتول عن النياحة إذ غدت تبكي أباها ليلها ونهارها
قالوا لها: قَرّي فقد آذيتنا أنّى؟ وقد سلب المصاب قرارها

ويقول آخر:

والقائلين لفاطم آذيتنا في طول نوح دائم وحنين
والقاطعين أراكة كي ما تقيل بظلّ أوراق لها وغصون

---

(١) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني قدس سره، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٣٩٢.

وآخر يقول:

غصبوها حقّها جهراً ومن عجب أن تغضب الزهرا جهارا
من لحاها إذ بكت والدها قائلاً فلتبكِ ليلاً أو نهارا
ويلهم ما ضرهم لو بكيت بضعة المختار أيّاماً قصارا

رأي الشيخ محمد السند في مسألة بكاء الزهراء

والآن أنقل لكم رأياً للشيخ محمد سند في كتابه (الوراثة الإصطفائية لفاطمة الزهراء) حاول أن يبين فيه فلسفة شدّة جزعها على أبيها من أجل أن نحيط بالمسألة بعدة قراءات ومن ثم لنخرج بقراءة موضوعية تكون أكثر وضوحاً ونضجاً.

يقول: (إنّ الملاحظ من حزن فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكائها وندبتها وعزائها عليه كان بنحو من الشدّة لا يطيقه الآخرون، حيث إنّه صار الناس في دهشة وحيرة لما يرونه ويسمعونه من شدّة ذلك، حتى أنّ المعروف من كتب السير أنّه «اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن، إنّ فاطمة تبكي الليل و النهار، فلا أحد منّا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معائشنا، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً.

فقال علي عليه السلام: حبّاً وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام، وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك أمّا أن

تبكي أباك ليلاً وإمّا نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن، ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال لها علي عليه السلام: إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ولا يخفى ما في موقف علي عليه السلام من تقرير لعصمة فاطمة عليها السلام وحجية فعلها...

وهذه الظاهرة ملحوظة في الزهراء عليها السلام بنحو التميّز، كما تصف روايات التاريخ أنّ أهل المدينة قد ضجوا من بكائها، بدرجة أصبح ذلك مضرب مثل في التاريخ، فيقال: كيوم توفّي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع تلك الشدّة فإنّه لم يصلوا إلى تلك الشدّة التي كانت عليها، حزن سيدة النساء عليها السلام، بل هم أنفسهم رغم جزعهم لم يتحملوا شدّة جزعها، فإن جزعها جزع معصوم لتنوء به جبال الأرض وهي رغم اعتراضهم بقيت على هذه الحالة إلى أن توفّيت عليها السلام، وهذا السلوك منها عليها السلام يسترعي الانتباه والوقوف عنده، بعدما شهد لها القرآن بالطهارة من الزلل والخطأ، فما هو الأمر وراء هذا السلوك، وما هي غاياته وأسبابه؟ وما الذي

يؤسسه من منهاج للأمة؟

فإنّه يقال: إنّ شخصية الرسول صلى الله عليه وآله بما اتصفت به من مقام لا يمكن أن تشهده البشرية من بعده، كما لم تشهده من قبله، فمن ثمّ عظم مصاب فقده، كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بيان هذه الحقيقة، أنّ الخلائق لم يُصابوا بمثل مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله. أي بمثل الخسارة التي مُنيت بها الأمّة بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فاستشعار عظم مصابه يُرشد ويُعرّف عظم مقامه صلى الله عليه وآله، أي أنّه يكوّن معرفة صحيحة وسديدة بموقعية الرسول والرسالة، والنبي والنبوة، كما أنّ العكس، أي قلّة البقاء والجزع يفضي وينبئ عن انحطاط المعرفة بمقام النبي صلى الله عليه وآله.

وهذه الأهمية بعظم مقامه صلى الله عليه وآله ومعرفته ترسم بنياناً وصرحاً في قوام الدين، كما نلحظها فيما ذكره القرآن الكريم في تعظيم شخصية النبي صلى الله عليه وآله في نعته بعظائم المديح، كوصفه برحمة للعالمين وببعض الأسماء الإلهية، كالرؤوف الرحيم، واقتران طاعته بطاعة الله تعالى، في كلّ أوامر الطاعة في القرآن، واقتران ولايته بولاية الله تعالى، وذكره بذكر الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وباشتراط التوسّل به في قبول التوبة بضميمة

اشتراط شفاعته أيضاً، وبخفض الصوت عنده، وأنّ سوء الأدب معه صلى الله عليه وآله يحبط الأعمال، وغيرها من شؤون التعظيم له صلى الله عليه وآله، فإن من الغايات لذلك هو شدّ الناس إلى اتباعه، بالتعلّق به، وبتوسط توثيق وتوكيد المحبة له، فإنّه كلما اشتد التعلق والمحبة اشتد الاتباع والتسليم والانقياد له، وعلى العكس إذا قلّ التعلق وضعفت المحبة فإنّه يستعصي الاتباع، ويمتنع الانقياد الكامل والتسليم له صلى الله عليه وآله.

فإنّ المحبة هي الصراط الأطوع للطاعة والاتباع.

ونلاحظ هذا التركيز على التعلق برسول الله صلى الله عليه وآله جلياً في تعاليم الدين ووصاياه، ففي قول علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليها السلام: (قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلُّدي، إلا أنّ لي في التأسي بسنتك في فرقتك موضع تعزّ ... وفيك أحسن العزاء).

فيبين عليه السلام بأنّ عظم المصاب بفقده يسلّي ما دونه من المصاب، بل إنّ هذا التعلق لعلي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله ظلّ بتلك الشدّة إلى آخر حياته عليه السلام، حتى أنّه قيل له: لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين- أي أن يصبغه بالخضاب- فقال عليه السلام: (الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة)، يريد برسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن هنا ورد عنه صلى الله عليه وآله: (من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته فيّ فإنّها أعظم المصائب).

وكذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (إذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلق لم يصابوا بمثله قطّ).

ومن ثم يفهم فلسفة هذه الشدّة في جزعها وبكائها، فإنّ ما فعلته عليها السلام تربية للجيل الأول من الأمّة وللأجيال اللاحقة على تأكيد التعلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يقم بهذه السنّة غيرها، وما سنّته هو ما أكد عليه القرآن الكريم، فإن فلاح هذه الأمّة وصلاحها وسدادها بتوثيق محبتها لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع، وكلّما فترت وضعفت محبّة هذه الأمّة بنبيها كلّما ابتعدت عن التأسي برسولها.

وهذا الذي نهجته عليها السلام كان في قبال شعار آخر رُفع يوم السقيفة ينادي بمقولة:

(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات)، فإن مقصود رافعي هذا الشعار هو الإنكار على شدّة تعلّق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ هذا الولاء من الناس يصفه أصحاب هذا الشعار بأنّها عبادة للنبي صلى الله عليه

وآله، وإلّا فلم يحدّثنا التاريخ أنّ أحداً من المسلمين كان قد صلّى أو صام لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو قال بالوهيته صلى الله عليه وآله، ومرادهم من جعل موت النبي صلى الله عليه وآله غاية لعبادته هو أنّهم يجعلون وفاته نهاية لهذا الولاء، وهذه الدرجة من التعلق والذوبان والطاعة، وأنّه من يوم رحيله فلاحقاً سيتم مواجهة ذلك.

وهذا الشعار وإن أعلنوه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّهم لطالما مارسوه في حياته صلى الله عليه وآله، وأرادوا في مواطن عديدة إفشاءه بين المسلمين، فإنّ قائلهم وهو المنادي في محضر من النبي صلى الله عليه وآله في أعصب الأوقات التي يمر بها سيد الرسل: (إنّ الرجل ليهجر) وهذا الشعار الذي رفع في البداية، قد اختطّ منهجاً توالت فصوله ومراحله لاحقاً في مجالات عديدة، منها منع رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وتدوينه، حيث قال قائلهم: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

وقال قائلهم الآخر: من كان عنده منها شيء فليمحه.

حتى وصل الأمر بالخليفة الثاني إلى منع بعض الصحابة من السفر خارج المدينة لئلاً يحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

بل قد مرّ أنّهم منعوا تدوين حديثه صلى الله عليه وآله في عهده فقد روى عبد الله بن عمر أنّه قال: (كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّاالحق).

هذا فضلاً عن كتابة سيرته صلى الله عليه وآله وتفاصيل الحوادث في عهد صدر الإسلام.

وقد فضحت الصديقة فاطمة عليها السلام هذا المنهج وهذا الخطّ بما قامت به من إحياء سُنّة إبقاء الولاء الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتأكيده في قلوب المسلمين وزرع الحبّ الباعث على التسليم والاتّباع له، والتأكيد على عدم نسيان ذكره والحفاظ على حرمته، في قبال ذلك بدا واضحاً انزعاج قريش مما أظهرته من شدّة التعلق عليه برسول الله صلى الله عليه وآله والجزع.

وقد أشارت عليها السلام في خطبتها إلى ذلك بقولها:

(أما كان رسول الله أبي يقول: ((المرء يحفظ في ولده))، سرعان

بل قد مرّ أنّهم منعوا تدوين حديثه صلى الله عليه وآله في عهده فقد روى عبد الله بن عمر أنّه قال: (كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا الحق).

هذا فضلاً عن كتابة سيرته صلى الله عليه وآله وتفاصيل الحوادث في عهد صدر الإسلام.

وقد فضحت الصديقة فاطمة عليها السلام هذا المنهج وهذا الخطّ بما قامت به من إحياء سُنّة إبقاء الولاء الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتأكيده في قلوب المسلمين وزرع الحبّ الباعث على التسليم والاتّباع له، والتأكيد على عدم نسيان ذكره والحفاظ على حرمته، في قبال ذلك بدا واضحاً انزعاج قريش مما أظهرته من شدّة التعلق عليه برسول الله صلى الله عليه وآله والجزع.

وقد أشارت عليها السلام في خطبتها إلى ذلك بقولها:

(أما كان رسول الله أبي يقول: ((المرء يحفظ في ولده))، سرعان

ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما احاول، وقوة على ما أَطلُب وأزاوِل؟

أتقولون مات محمدٌ؟ فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمت الأرضُ لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته. فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، اعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في افنيتكم في مُمساكم ومُصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوة وإلحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكمٌ فصل، وقضاء حتم ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضر اللهَ شيئاً وَ سيجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾.

وبقولها تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبيّ الصفيّ).

فهي تشير بما قامت به من تربية الأمّة على السير على نهج الإنشداد إلى شخصية النبي صلى الله عليه وآله والذوبان في محبته، إلى كون هذا الطريق لطاعته والتسليم لحكمه ونبوته، والتصديق برسالته صلى الله عليه وآله، في قبال

ما نهجته قريش من إماتة ذكر النبي صلى الله عليه وآله ورفع شعار «مات رسول الله صلى الله عليه وآله» لإماتة سنّته ونهجه وهديه، كما في قولها: «أتقولون: مات محمد؟ ... الآن مات رسول الله، أمتّم دينه) وقولها: (وإهماد سُنَن النبي الصفيّ)، فهي تبدي الاستنكار على الشعار الذي رفعوه وهو(مات محمد).

كما أوضحت عليها السلام إلى ما أشار إليه القرآن الكريم لهذا الإحداث في الدين والتبديل الذي بيّتته قريش لحين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث عبّر القرآن الكريم عن ذلك بالإنقلاب على الأعقاب، أي الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل، ولا يخفى أنّ الآية إذا نزلت لا تختص بمورد النزول، وهو ما حدث في واقعة أحد، بل معاني الآيات عامة ذات مفاهيم خالدة، تشير إلى تكرّر السُّنن وانطباق الآيات عليها[1].

نعم كانت قراءة الشيخ السند قراءة جيدة، ولكنها كانت ضيقة ومنحصرة بزاوية واحدة، واعتقد أن الأمر كان خطيراً وفيه من العمق أكثر مما ذكره. ولذلك لنا على تلك القراءة عدّة تعليقات منها:

---

(١) الوراثة الاصطفائية، مصدر سابق: ص٣٧١ وما بعدها.

أولاً:

إن القوم كانوا دهاة وأصحاب مكر بهذا الجانب، وقد أعدّوا له العدّة منذ زمن لا يستهان به، وهم إذا أرادوا أن يجدوا مبرراً لإقناع المسلمين ببكاء الزهراء عليها السلام وجزعها فهو موجود، ويستطيعون أن يبعدوا المسلمين عن استشعار ما تريد أن توصله من خلال بكائها، وهو إفهام الأمّة والأجيال اللاحقة على شدّة المصاب، وتعريفهم عظم مقام الرسول صلى الله عليه وآله.

وذلك لأن بمقدورهم تبرير بكاء الزهراء عليها السلام وجزعها، بإعتبار أنها ابنة الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت تحبه ويحبها حباً شديداً، فقد رباها وهي صغيرة بعد وفاة أمّها خديجة سلام الله عليها، فتعلقت بوالدها تعلقاً قوياً، فكان يمدها بالعطف والحنان، وليس من الهيّن أن ينسى هذا الأمر بسهولة، ولعلاقة الأبوة وجود حاضر وقوي بين البنت وأبيها.

هذا مضافاً إذا ما لاحظنا أن الناس حديثي عهد بالإسلام، ومثل هذه المعاني لا زالت راسخة في الذهنية العامة للمجتمع العربي، ولا يستطيعون أن يربطوا معنى لهذا التعلق والبكاء كونه عشق وإرتباط ولائي وإلهي لأبيها لأنه يمثل رسالة الله في أرضه، فالمشهد عندهم لا يزال يمثل مظهراً بانت فيه علقة الأبوة والقرابة القوية عند الزهراء نحو أبيها صلى الله عليه وآله.

وحينئذ يكون من البساطة إبعاد مثل هكذا معنى عن الذهنية العامة للمسلمين.

ثانياً:

إنّ المسلمين أنفسهم قد بكوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومسهم الحزن والجزع لفراقه، لأنّه ليس من المنطقي أنّ كل المسلمين كانوا بنفس شعور وقسوة ومكر أصحاب السقيفة، فكثير منهم كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تأثروا بوفاته، ورحيله عنهم ليس هيّناً.

ولكن كان هناك شيئا أكبر من مجرد البكاء والجزع، تريد فاطمة الزهراء عليها السلام أن توصله للمسلمين، وهو ضياع الخلافة وسلبها من أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا الإنحراف هو الذي شكل نقطة الحزن العميق لدى الزهراء عليها السلام، كونها المعصومة الطاهرة فهي تحس بهذا الإنقلاب أكثر من أي فرد آخر من المسلمين.

ثالثا:

إنها في خطاباتها سلام الله عليها مع القوم، لم تقل لهم لماذا لا تبكون على رسول الله صلى الله عليه وآله ولماذا لم تجزعوا؟ وإنّما ركزت على ضياع وصايا الرسول صلى الله عليه وآله، والاستخفاف بأهل بيته بالرغم من وصاياه الكثيرة

بهذا الإتجاه.

فهي سلام الله عليها في قولها الذي استشهد به الشيخ السند: (أتقولون مات محمد؟) هو استفهام استنكاري على المسلمين، وهو بمعنى كأنّهم قالوا انتهى حكم محمد صلى الله عليه وآله بموته وعلينا أن ندبر أمورنا نحن ونترك وصاياه لأن الظرف قد تغير[1].

ثم تستشهد سلام الله عليها بالآية: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضر اللهَ شيئاً وَسيجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾.

وكذلك قولها سلام الله عليها: (وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبيّ الصفيّ).

وعموماً لنكتفي بهذه اللمحة العابرة، ولنأتي الآن ونعطي قراءة جديدة حول بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام، عسانا أن نزيح فهماً خاطئاً قد تعلق بهذا الموضوع منذ عهود طويلة، ومن ثم لنستشعر عظمة فاطمة عليها السلام، تلك العظمة التي لم تجعل للظالمين مستقراً، بحيث صدرت القرارات منهم بحق الزهراء في منتهى التعسف والقسوة وإليك البيان:

---

(١) ينظر دفاع عن فاطمة الزهراء، مصدر سابق.

إننا لو نظرنا الى الروايات بتمعن لرأينا أنّه من الممكن أن توجد عليها عدّة إشكالات، وعلينا أن نقرأها قراءة ثانية، ونؤسس على ضوئها المنهج الذي اتخذته فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وهل هو هذا المنهج السلبي المنهار والمحطّم نفسياً وسلوكياً، بحيث آذت القوم ببكائها وعويلها، أم هو نهج آخر اتخذته سلام الله عليها، بحيث كان حركياً وكل خطوة من خطواته سواء كانت بالكلمة أو بالعمل أو بالحزن العميق كانت تصيب هدفاً تتحقق من خلاله أبعاد رسالية قد أسس لها رسول الإنسانية بوادرها الأولى.

الإشكالات والتعليقات على الروايات

والآن لنأتي ونعرض بعض الإشكالات على الروايات والتعليقات عليها.

أولاً: فاطمة الزهراء عليها السلام لا تؤذي الآخرين.

إن فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وهي احد الأربعة عشر من أهل بيت العصمة، فضلاً عن كونها من اصحاب الكساء، ومعروف ما لأهل الكساء من الفضل على الأئمة الباقين سلام الله عليهم أجمعين، حيث نزلت آية التطهير بهم[1].

---

(١) إن سند حديث الكساء، هو في غاية المتانة ويعتبر من الأحاديث المتواترة. ويكفي ذلك أنّ هناك ما يقارب الـ سبعين رواية من طرق أهل السنّة فضلاً عن روايات الخاصة. ولا بأس هنا من ذكر حديث الكساء للبركة وبيان عظمة وفضل الصديقة فاطمة الزهراء.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سمعت فاطمة عليها السلام أنّها قالت: دخل علي أبي رسول الله في بعض الأيام فقال السلام عليك يا فاطمة فقلت عليك السلام قال: إني أجدُ في بدني ضعفاً فقلتُ له اعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال يا فاطمة آتيني بالكساء اليماني فغطيني به فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به وصرتُ أنظر اليه وإذا وجهه يتلألأ كأنّه البدر في ليلة تمامه وكماله، فما كانت إلّا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال السلام عليك يا أمّاه فقلت وعليك السلام يا قرّة عيني وثمرة

فؤادي فقال يا أمّاه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله فقلت نعم إن جدك تحت الكساء فأقبل الحسن نحو الكساء وقال السلام عليك يا جدّاه يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء فقال وعليك السلام يا ولدي ويا صاحب حوضي قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت إلّا ساعة وإذا بولدي الحسين عليه السلام قد أقبل وقال السلام عليك يا أمّاه فقلت وعليك السلام يا ولدي ويا قرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي يا أمّاه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله فقلت نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء فدنى الحسين نحو الكساء وقال السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من إختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحت الكساء فقال وعليك السلام يا ولدي ويا شافع أمتي قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام وقال السلام عليك يا بنت رسول الله فقلت وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين فقال يا فاطمة إنّي أشمّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء فأقبل عليّ نحو الكساء وقال السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء قال وعليك السلام يا أخي ويا وصيي وخليفتي وصاحب لوائي قد أذنت لك فدخل عليّ تحت الكساء ثم أتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء قال وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي قد أذنت لك فدخلت تحت الكساء فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبي رسول الله بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال اللهم إنّ هؤلاء أهلُ بيتي وخاصتي وحامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدوّ لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم إنهم مني وأنا منهم

فأجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقال الله عزّ وجلّ يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلّا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرائيل يا ربّ ومن تحت الكساء فقال عزّ وجلّ هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فقال جبرائيل يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً فقال الله نعم قد أذنت لك فهبط الأمين جبرائيل وقال السلام عليك يا رسول الله العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك وعزتي وجلالي إني ما خلقتُ سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلّا لأجلكم ومحبتكم وقد أذن لي أن أدخل معكم فهل تأذن لي يا رسول الله فقال رسول الله وعليك السلام يا أمين وحي الله أنه نعم قد أذنت لك فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء فقال لأبي أن الله قد اوحى اليكم يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال علي لأبي يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلّا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا فقال علي عليه السلام إذاً والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلّا وفرج الله همه ولا مغموم إلّا وكشف

وهي أحدُ الركنين اللذين يعتمد عليهما أمير المؤمنين عليه السلام، حيث جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: سلام عليك يا أبا الريحانتين، فعن قليل يذهب ركناك، والله خليفتي عليك، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، قال علي عليه السلام: هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال هذا الركن الآخر[1]. مضافاً الى أنّها سلام الله عليها حجة الله على الأئمة المعصومين من ولدها فقد جاء عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: (نحن حجج الله على خلقه، وجدتنا فاطمة عليها السلام حجة الله علينا)[2]، فضلاً عن المقامات والكمالات العالية الأخرى التي لم ينل غيرها منها شيئاً.

ولمّا كانت مولاتنا الزهراء عليها السلام في هذه المنزلة العليا والمرتبة الشريفة والتي على معرفتها دارت القرون الأولى[3]، كيف تأتي بفعل يضر

الله غمّه ولا طالب حاجة إلّا وقضى الله حاجته فقال علي عليه السلام إذاً والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة ورب الكعبة.

(١) بهجة قلب المصطفى، مصدر سابق: ص٤٢ نقلاً عن ذخائر العقبى ص٥٦.

(٢) الأسرار الفاطمية، مصدر سابق: ص٦٩ نقلاً عن تفسير أطيب البيان: ١٣/ ٢٢٦.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام: (وهي الصدّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) البحار ج٤٣ ص١٠٥.

بالآخرين حتى وإن كانت على خلاف معهم، بحيث يتأذون ولا يهدأ لهم بال، لأنهم لا يهجعون ولا يستريحون من بكائها وعويلها لا في المسجد وحسب، بل وحتى في بيوتهم القريبة من المسجد. ولو كان بكاء الصدّيقة فاطمة مجرد دموع وحزن في الوجد عميق، من دون إحداث عويل ونياح وصياح لما اشتكوا منها، بحيث يصل الحال بهم الى ان يشكوا أمر هذا البكاء لأمير المؤمنين عليه السلام، مما اضطره لأن يبني لها بيتاً خارج المدينة، سماه بيت الأحزان.

فإذا كان الأمر كذلك ستواجهنا عدّة اعتراضات منها:

١ – إن هذا البكاء والعويل بهذه الصورة التي تأذى منها القوم، يعتبر بحد ذاته إعتراضاً على القضاء والقدر الإلهي، وخصوصاً عندما تطول مدّته ويدوم مقامه، ويكون بهذا الشكل غير المألوف والملفت للأنظار، بحيث يستدعي من المسلمين بأن يقدموا شكواهم لأمير المؤمنين بسببه.

والحقيقة حاشا لفاطمة الزهراء عليها السلام هذا الفعل، فالمتدنيات من المسلمات والمؤمنات لا يفعلن مثل هذا الفعل، فكيف بالزهراء عليها السلام، وهي الصابرة المحتسبة المسلّمة لأمر الله تعالى. ألم تقرأ في زيارتها: (يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة...).

٢- في نفس البكاء والطريقة التي وصفتها الروايات إيذاء لأهل بيتها وزوجها، فضلاً عن عامة الناس، الذين يسمعون هذا البكاء والعويل، وهذا مما لا يرضي الله جلّ جلاله، ولا الأئمة المعصومين عليهم السلام، فكيف يأتي فردٌ منهم بل من أفاضلهم ويقوم بهذا الفعل؟!.

٣- جاء في القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فكان أولى الناس بتطبيق هذه الأسوة هم المعصومون، وخصوصاً الذين عاصروه. فعندما مات إبراهيم عليه السلام إبن الرسول قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ان العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربنا، وإنّا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون) فيدل هذا على البكاء بلا صوت، فدمع العين وحزن القلب لا ينافي الرضا بالقضاء، وأمّا البكاء بصراخ وعويل فهو يزعج الآخرين، وهو نوع من أنواع الجزع، وهو بعيد عن التأسي بمقام الرسول صلى الله عليه وآله. هذا فضلاً إن هذا الفعل من قبل الزهراء عليها السلام، سوف تتخذه النساء سنّة مع أمواتهن في حال إتخاذهن للزهراء كقدوة، وخصوصاً عندما يوصي الرسول صلى الله عليه وآله الناس بإتخاذ أهل بيته قدوة لهم، حيث قال: اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من

الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلّا بالعينين[1].

٤- إنّ التمسك بالبكاء بهذا الشكل المؤذي، يدل في نفس الوقت على ضعف الشخص الباكي، وعجزه عن إيصال وإظهار مظلوميته بالحجة القوية والبراهين الواضحة، بإستخدامه القول الفصل أو الفعل المؤثر تجاه من ظلمه أو اغتصب حقه.

وستكون نتيجة هذا الضعف، وعدم القدرة على المواجهة والتحدي، أنّ يلجأ الى وسيلة أخرى وهي البكاء والعويل بصوت عال، لجلب إنتباه الآخرين نحوه، وسيكون حاله عندئذ كحال الطفل الصغير، عندما لا يقدر على التعبير عمّا يريد إلّا بالبكاء، وهذا واقعاً في غاية الضعف والهوان والإنهزام. وحاشا لفاطمة الزهراء عليها السلام أن تكون بهذا المقدار من الضعف، وهي صاحبة الحجج والدلائل الواضحة، وصاحبة الخطبة التي وبخت بها طواغيت عصرها أمام الملأ دون تردد أو خوف.

٥- ثم لو نظرنا الى الرواية التي نقلها صاحب البحار: (ثم أنّه -عليه السلام- بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى

---

(١) حياة سيدة النساء، مصدر سابق: ص١٢٣ نقلاً عن مجمع الزوائد: ٩٠، ١٧٢ والمراجعات ص٥٨.

البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزلها)[1]. نرى في هذه الرواية أنّ الزهراء عليها السلام تخرج من بيتها منذ الصباح وحتى المساء، وتقضيها بين القبور باكية، وتعود بالمساء بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام. ألا يدل هذا على أن غياب فاطمة الزهراء عليها السلام عن دار زوجها سيؤدي الى التقصير في حق بيتها وزوجها أمير المؤمنين؟ فمن الذي يهيء البيت والطعام والتنظيف؟ ثم أنّ لوجود المرأة في الدار يكسبها جو من الطمأنينة والسكينة، لا يمكن أن يتحقق إلّا بوجود ربة البيت. وخصوصاً أننا نعلم بأن أمير المؤمنين لم يتزوج أية امرأة إلّا بعد استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام.

وحتى نقبل بهذه الرواية، علينا أن نبحث عن أسباب أخرى قاهرة وضاغطة غير البكاء والعويل، قد أدت بالإمام علي عليه السلام أن يبني بيت الأحزان ليبعد الزهراء عن القوم. وليتحمل بعدها النتائج والظروف الصعبة التي تتشكل نتيجة هذا الفعل؟!!!.

ثانياً: فاطمة الزهراء كانت تقوم بفعلين: البكاء والدفاع عن أمير المؤمنين.

من الممكن القول بان فاطمة الزهراء عليها السلام، لم تكن تبكي هذا

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج٤٣ ص١٧٧.

البكاء ذو الصوت والنحيب العالي الممل، وإنّما عنى الراوي بأن فاطمة عليها السلام كانت تقوم بفعلين لابد منهما، وذلك لاندماجهما واندكاكهما في الزهراء بالشكل الذي يناسب مقامها ومسؤوليتها تجاه أبيها صلى الله عليه وآله وتجاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واثبات خلافته وهذان الفعلان هما:

الفعل الأول: إنها كانت تبكي أبيها صلى الله عليه وآله لشدّة تعلقها به، وامتزاجها النوراني معه، فكان بكاؤها بكاء العقلاء الروحانيين الإلهيين، ذلك البكاء الذي لن تشعر به لولا جريان الدموع على الخدود، وحرقة وحمرة العينين، فهو عبارة عن زفرات وأنين لا تكاد تسمع منه شيئاً إلّا همساً، ولكنه يعصر الروح عصراً، ثم تعرج بحزنها الى السماء فتقول:

قُلْ للمغيّب تحتَ أَطباقِ الثّرى ... إِن كنتَ تسمعُ صرخَتي وَنِدائِيا
ماذا عَلى مَن شمَّ تُربة أحمدٍ ... أَن لا يَشمَّ مَدى الزمانِ غَواليا
قَد كنتُ ذاتَ حِمى بظلِّ محمّدٍ ... لا أَخشَ ضيماً وكان جمالِيا
فَاليومَ أَخشعُ لِلذليلِ وأَتّقي ... ضيمي وَأَدفع ظالِمي بِردائيا
فَإِذا بَكَت قمريّة في ليلها ... شَجناً عَلى غصنٍ بكيتُ صباحِيا
فَلأجعلنّ الحزنَ بَعدكَ مُؤنسي ... وَلأجعلنّ الدمعَ فيك وِشاحِيا

الفعل الثاني: إنها كانت سلام الله عليها تقوم بالدفاع عن أحقية أمير المؤمنين عليه السلام بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، وإبراز ما قام به الشيخان من حرف خط الخلافة عن مسارها الصحيح. وكيف دلّسوا الأمر، وغيّبوا الحقائق عن أغلب المسلمين، وخصوصاً أن المسلمين كانوا قريبي عهد بالرسالة، ولم ينصقلوا ويتمرسوا بعد، من أجل أن تكون لهم قدرة مواجهة الإنحرافات، وهي تحدث بحرفنه ومهارة كاملة من قبل المسؤولين عليها والمنظّمين لها، وذلك بإعطاء الأسباب التي تقنع الآخر للوهلة الأولى، ومن ثم لتضيع الحقيقة بشكل كامل.

ولذلك أخذت فاطمة الزهراء عليها السلام تنبّه المسلمين كلّما دخلوا عليها، وخصوصاً نساءهم، بحيث تقوم النساء بدور الناقل لما بينته الزهراء من الحق لرجالهن، وهي بذلك قد عملت لإيضاح وبيان الحق بأجلى صوره، ولم تدع شيئاً من الحق والباطل لم تكشف عنه، فكانت سلام الله عليها تلقي على أسماع النساء الشكاوى، التي شكلت تقريعاً وتوبيخاً لرجالهن، وبينت أن سبب حزنها وألمها هو لأن الحق لا يعمل به ولم ينتصر له، والباطل لا يتناهى عنه ولم ينتقم من أصحابه، وهي بهذا الفعل كانت تمارس دورها كقائدة كانت المرحلة تحتاجها للقيام بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالصورة التي تراها هي الأمثل والأكمل، للظروف الصعبة التي أحيط بها أمير المؤمنين

عليه السلام من قبل أصحاب السقيفة وأعوانهم.

وبالتالي أدّى هذا الفعل من الزهراء عليها السلام، الى إفشاء ونشر أمر غصب الخلافة من علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك غصب حقها في فدك بين المسلمين. ولذلك بدأ المسلمون يعون ويفهمون هذا الأمر، وبدأوا يلومون أنفسهم على تسرعهم بإعطاء البيعة الى الخليفة الأول. فعندما اجتمعت نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها سلام الله عليها قلن لها: كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟

فحمدت الله، وصلت على أبيها، ثم قالت:

أصبحت والله عائفة لدنياكنّ[1].

قالية لرجالكن[2].

لفظتهم بعد أن عجمتهم[3].

وشنأتهم بعد أن سَبَرتهم[4].

---

(١) عائفة: كارهة.

(٢) قالية: مبغضة.

(٣) لفظتهم: رميت بهم. عجمتهم: مضغتهم.

(٤) شنأتهم: أبغضتهم. سبرتهم: عرفت عمقهم – أي تأملتهم –.

فقبحاً لفلول الحد[١].

واللعب بعد الجدّ[٢].

وقرع الصفاة، وصدع القناة[٣].

وخطل الآراء، وزلل الأهواء[٤].

(وبئس ما قدمت لهم أنفسهم).

(أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)[٥].

لا جَرمَ لقد قلدتهم ربقتها[٦].

وحمّلتهم أوقتها[٧].

---

(١) فلول الحد: ثلمة حد السيف.

(٢) الجد – بكسر الجيم – : ضد الهزل واللعب.

(٣) قرع الصفاة: ضرب الصخرة الملساء، وصدع القناة: استرخاء الرمح. وقيل الصدع: الشق.

(٤) خطل الآراء: فسادها. وزلل الأهواء: إنحراف الميول والرغبات.

(٥) سورة المائدة: الآية ٨٠.

(٦) قلّدتهم: جعلت في أعناقهم، ربقتها: حبلها.

(٧) حمّلتهم أوقتها: حمّلتهم الثقل والمسؤولية.

وشننت عليهم عارها[١].

فجدعاً وعقراً وسُحقاً للقوم الظالمين[٢].

ويحهم!

أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة[٣].

وقواعد النبوة والدلالة[٤].

ومهبط الروح الأمين[٥].

والطبين بأمور الدنيا والدين[٦].

أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسرانُ الْمُبِينُ[٧].

---

(١) شننت: أرسلت. والعار: السبة والعيب.

(٢) الجدع -بفتح الجيم-: قطع الأنف. والعقر -بفتح العين-: الجرح. والسحق: البعد.

(٣) زحزحوها: نحوّها. الرواسي: الثوابت.

(٤) قواعد البيت: أسسه.

(٥) مهبط الروح الأمين: محل نزول جبرائيل.

(٦) الطبين: الحاذق الفطن العارف.

(٧) سورة الزمر: الآية١٥.

وما الذي نقموا من أبي الحسن[١].

نقموا منه –والله– نكير سيفه[٢].

وقلّة مبالاته بحتفه[٣].

وشدّة وطأته ونكال وقعته[٤].

وتنمرّه في ذات الله عزّ وجلّ[٥].

والله لو تكافّوا عن زمام نَبَذَه رسول الله إليه لأعتلقه[٦].

ولسارَ بهم سيراً سُجُحاً[٧].

لا يَكْلم خشاشُه[٨].

---

(١) نقموا منه: عابوا وكرهو.

(٢) نكير سيفه: لا يعرف سيفه أحد، ولا يفرق بين الشجاع وغيره.

(٣) الحتف: الهلاك.

(٤) وطأته: أخذته، ونكال وقعته: إصابة صدمته.

(٥) التنمر: الغضب، والمقصود من ذات الله أي لوجه الله.

(٦) تكافّوا: صرف بعضهم بعضاً. والزمام مقود البعير. أو الخيط الذي يشد في ثقب أنف البعير.

(٧) السير السجح: السهل اللين.

(٨) لا يكلم: لا يجرح. الخشاش– بكسر الخاء–: الخيط الذي يدخل في عظم أنف البعير.

ولا يتعتع راكبه[١].

ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً روياً، فضفاضاً تطفح ضفّتاه، ولا يترنق جانباه[٢].

ولأصدرهم بطاناً[٣].

ونصح لهم سراً وإعلاناً

ولم يكن يحلى من الغنى بطائل[٤].

ولا يحظى من الدنيا بنائل[٥].

غير ري الناهل[٦].

وشبعة الكافل[٧].

---

(١) يتعتع راكبه: يقلق ويتحرك حركة عنيفة.

(٢) المنهل: محل ورود الماء. النمير: الماء العذب السائغ النامي للجسد. الروي: الكثير. الفضفاض: الواسع. تطفح: تمتلئ حتى تفيض. ضفتاه: جانباه. يترنق: يتكدر.

(٣) بطاناً: عظام البطون من كثرة الشرب.

(٤) يحلى: يصيب ويستفيد. الطائل: كثير الفائدة.

(٥) يحظى: يظفر. النائل: العطاء.

(٦) الناهل: العطشان.

(٧) الكافل –هنا– المحتاج الى الطعام.

ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾(٢).

ألا: هلمَّ واستمع.

وما عشت أراك الدهر عجباً!

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾(٣).

ليت شعري الى أيّ سِناد استندوا؟(٤).

وعلى أيّ عِماد إعتمدوا؟

وبأية عروة تمسّكوا؟

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٢) سورة الزمر: الآية٥١.

(٣) سورة الرعد: الآية٥.

(٤) ليت شعري: ليتني علمت. السناد -بكسر السين- ما استندت إليه من حائط أو غيره.

وعلى أيّة ذرية أقدموا واحتنكوا[١].

و﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[٢].

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٣].

إستبدلوا –والله– الذُنابا بالقوادم[٤].

والعجز بالكاهل[٥].

فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً[٦].

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٧].

ويحهم!!

---

(١) احتنكوا: استولوا.

(٢) سورة الحج: الآية ١٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٤) الذناب: ذنب الطائر. القوادم: ريشات في مقدم الجناح.

(٥) العجز –بفتح العين وضم الجيم– : المؤخر من كل شيء. الكاهل: ما بين الكفين.

(٦) رغماً: كناية عن الذلّ. المعاطس: جمع معطس (مكان العطسة) وهو الأنف.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٢.

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

أما لعمري! لقد لقحت[2].

فَنَظِرة ريثما تُنتَج[3].

ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً[4].

وذعافاً مبيداً[5].

هنالك يخسر المبطلون.

ويعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون[6].

ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً[7].

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) لقحت: حملت.

(٣) فنظرة: فمهلة. ريثما: مقدار ما. تنتج: تلد.

(٤) القعب: إناء ضخم. الدم العبيط: الطري.

(٥) الذعاف: السم السريع الفناء. المبيد: المهلك.

(٦) التالون: التابعون. الغب: العاقبة.

(٧) طابت نفسه عن كذا: رضيت به من غير كراهة.

واطمأنّوا للفتنة جاشا[١].

وأبشروا بسيف صارم.

وسطوةِ معتد غاشم[٢].

وهرج شامل[٣].

واستبداد من الظالمين[٤].

يَدَعُ فيئكم زهيدا[٥].

وجمعكم حصيداً[٦].

فيا حسرة لكم؟[٧].

وأنّى بكم؟[٨].

---

(١) الجاش: القلب.

(٢) المعتدي: الجائر. الغاشم: الظالم.

(٣) الهرج: الفوضى، والقتل، وإختلاط الأمور.

(٤) الاستبداد: التفرد بالشيء من غير منازع.

(٥) الفيء: الخراج والغنيمة. زهيداً: قليلا.

(٦) جمعكم: زرعكم.

(٧) الحسرة: التلهف على شيء الفائت.

(٨) وأنّى بكم: كيف يصنع بكم.

وقد عميت عليكم.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾!؟.

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا:

يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد، ونحكم العقد لما عدلنا الى غيره!!!.

فقالت: إليكم عني! فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم[1].

والآن لنا قراءة على نص هذه الحوارية بين الزهراء عليها السلام ونساء المهاجرين والأنصار نوضحها بالنقاط التالية:

١ - إن نساء المهاجرين والأنصار لم يسألنها أو يطلبن منها السكوت عن البكاء والنحيب والعويل، وأنها قد آذت نفسها منه، ولو كان هذا الأمر هو الغالب على فاطمة الزهراء عليها السلام لسألنها، ولطلبن منها الكف عنه، بإعتبار أنّه هو الغالب على طبعها، ولو كان مثل هذا السؤال موجوداً

---

(١) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٣٤٥.

لنقله لنا التأريخ، كما نقل الحواريات الأخرى وبيّن فيها ما حوته من الأسئلة وغيرها.

ولكننا نرى أن النساء ابتدرن بالسؤال عن صحتها، والإستفسار عنها كونها كانت مريضة، بسبب الإصابة التي تعرضت لها اثناء الهجوم على دارها ومحاولة حرقه.

٢- هي نفسها سلام الله عليها لم تتعرض بكلامها وتشتكي من سبب بكاؤها، أو تقول بأنني سوف أظلّ باكية، ولن أترك هذا الحال، أو سوف أدعو على رجالكن لعدم نصرتهم لي، والوقوف مع زوجي أمير المؤمنين عليه السلام، من أجل أن تستعطفهن وما شابه ذلك. بل بدت قوية رابطة الجأش ممتلئة همّة وثقة بالنفس.

٣- من كانت تبكي ومشغولة بعويلها وصراخها طوال اليوم، بحيث طلب القوم من أمير المؤمنين عليه السلام أن يقول لها أمّا أن تبكي في الصباح أو المساء، لتدع لهم مجالاً أو فسحة للراحة، هل تستطيع أن تتكلم بهذا الكلام والمنطق العجيب بحيث أعطت الحجة تلو الحجة، بل ساقت في كلامها الحِكَم والدرر، التي سيظل التاريخ حائراً في كيفية صياغة تلك المفردات الرسالية، التي وصفت الوضع الإجتماعي العام للأمّة الإسلامية، عندما إنقلبت على من أوصى الرسول صلى الله عليه وآله بخلافته وقيادته لهم،

وصفاً بحيث تمثل عنواناً واقعياً لحياة المسلمين في تلك القطعة من الزمن، الذي لن يمحى بعمل أو يداوى بدواء.

٤- بَيّن خطابها مع نساء المهاجرين والأنصار أنّها سلام الله عليها صاحبة رسالة ومبدأ قوي في سبيل تثبيت الإمامة، وبيان مدى جهل المسلمين في تعاملهم مع من يمثلها بينهم، ولم تكن ضعيفة ومنكسرة وتحتاج الى العطف، وإنّما كانت صاحبة إرادة وهمّة لا تلين في مواجهة الباطل، الذي تمثل بالذين خذلوا أمير المؤمنين عليه السلام حينما أبعدوا الخلافة عنه. ولذلك فإن نساء المهاجرين والأنصار عندما أتن الى زيارة فاطمة الزهراء، كانت زيارة قد يقصد من ورائها استحصال عطفها ورضاها على رجالهن، الذين شعروا بخطأهم، وهم الذين قاموا بإرسالهن لزيارة السيدة الزهراء عليها السلام.

٥- كانت سلام اله عليها مُشَخِّصة لحالة المجتمع في تلك المرحلة، وتعرف اسباب انحرافه عن خط الشرع القويم، ولم تكن جاهلة وغافلة عمّا يدور حولها ويحدث من مؤامرات وتخاذل، فها هي تدلي بكلامها ومعرفتها برجالهن، وبما يدور بخلجاتهم فتخبر عنهم: (... لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم ...) أي أنها سلام الله عليها قد عرفت مشاعرهم وما تدور به بواطن أفكارهم، ولمن يميلون وماذا يريدون، بل والأكثر من

ذلك، فقد أخبرت بما ستؤول إليه الأحوال والظروف في المستقبل، نتيجة ما أقدموا عليه من عمل فتقول لهم سلام الله عليها: (... هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسسه الأولون ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، وأطمأنوا للفتنة جاشا، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم، وأنّى بكم وقد عميت عليكم ...)، ولعمري من كانت بهذه القدرة والإلتفات في تلك الظروف الحرجة والصعبة للغاية، كيف كانت، أو كيف توصف بأنّها قد أزعجت القوم ببكائها وعويلها، الذي أمتد على طول الصباح والمساء، ما لكم كيف تحكمون، بل كيف سوّغت لكم أنفسكم قبول هذا الأمر، بحيث يطرح على المنابر وبطون الكتب وكأنّه من المسلمات المحكمات.

هذا ما أردنا أن نعلق به على تلك الرواية، وهناك رواية أخرى تقول:

دخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها:

كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالت: أصبحت بين كمد وكرب، فقدُ النبيّ، وظلم الوصي. هتك – والله– حجبه، من أصبحت إمامته مقيّضة، على غير ما شرع الله في التنزيل،

وسنّها النبيّ صلى الله عليه وآله في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية، وترات[١] أحدية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان الوشاة.

فلما استهدف الأمر أُرسلت علينا شآبيب[٢]. الآثار في مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها، ولبئس – على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين- أحرزوا عائدتهم، غرور الدنيا بعد استنصار –(إنتصار)- ممّن فتك بآباهم في مواطن الكرب، ومنازل الشهادات[٣].

هذا الأمر وهذه الحجج المتتابعة، التي تُلقيها فاطمة عليها السلام على كل من حاول زيارتها، أدّى بالشيخين وأتباعهم، بان يبعثوا بعضاً من المسلمين الى أمير المؤمنين عليه السلام ويطلبون منه أن يسكتها ويمنعها من البكاء والعويل، كونهم لا يستطيعون البقاء مكتوفي الأيدي أمام كشف الحقائق والتوبيخ المتعاقب عليهم من قبل فاطمة عليها السلام، وهم يعلمون ما للزهراء من مكانة ومحبة في قلوب المسلمين، ولا تزال كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) جمع ترة وهي التبعة.

(٢) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة.

(٣) فاطمة الزهراء من قبل الميلاد حتى ما بعد الإستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي، نشر دار الأندلس : ص٣٢٣ نقلاً عن البحار ج٤٣ ص١٥٦ ح٥، ووفاة الصدّيقة الطاهرة للمقرم: ١٠٦.

في حقها، تلامس وجدانهم وتصدح في آذانهم فهم لم ينسوها بعد، ولازالت في خازنة ذاكرتهم.

لذلك لم يكن لهم بد إلّا أن يأتوا بهذا العذر، ليقنعوا المسلمين بأن ما كان للزهراء عليها السلام أن تتكلم بهذا الكلام الذي توبخهم به، وتكشف من خلاله خذلانهم لأمير المؤمنين عليه السلام، لولا حزنها وبكاؤها على أبيها، بحيث افقدها صوابها ورشدها، وجعلها تتكلم بمثل هذا الكلام.

ولذلك قام أمير المؤمنين ببناء بيتاً لها بعيداً عن بيوت المدينة وسمّاه بيت الأحزان، وهي محاولة منه عليه السلام لإبعاد فاطمة الزهراء عنهم، كونهم غير موفقين لبقائها معهم وسماع كلامها، بعد أن أصبحت القلوب كالحجارة أو أشد قسوة.

وبعد ما قام الإمام عليه السلام بهذا العمل، يصبح حينئذ من المنطقي جداً، أنه يريد أن يشعر المسلمين، بأن لا يذهب احدٌ منهم الى الزهراء سلام الله عليها، لأنها قد خرجت من بيتها المعد لاستقبال الضيوف الى مكان آخر، وهي تريد ان تعتزل هذا المجتمع المسلم القاصر عن إدراك الحقيقة، خوفاً عليهم من أن يزدادوا اثماً، كلّما القت عليهم الحجج وهم لا يستجيبون لها. وهي أيضاً فرصة مناسبة وممهدة لإخفاء قبرها سلام الله عليها عن الأمّة الإسلامية في

المستقبل القريب.

ولعله أن تكون محاولة بناء بيت الأحزان بعيداً عن بيوت المسلمين، هي خطوة قام بها الإمام علي بن أبي طالب والزهراء سلام الله عليهما كعملية رفض للانحراف الإسلامي، الذي قام به المسلمون بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه واله مباشرةً.

ولذلك فإن ابتعاد فاطمة الزهراء عن بيوت المدينة في أغلب الوقت، ما هو إلّا ابتعاد لروح رسول الله وبضعته عن المجتمع المسلم، لأنّه صلى الله عليه وآله قال في الزهراء (فاطمة روحي التي بين جنبي) وكذلك قال صلى الله عليه وآله: (يرضيني ما أرضاها ويبغضني ما ابغضها) وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على كبر سعة الغفلة، وعدم الالتفات الى معاني وشخصية الزهراء عليها السلام، والتي ألقيت من قبل الرسول صلى الله عليه وآله في حقها. بحيث فرّطوا بالزهراء وهي تطالب بحقها بفدك، ثم فرّطوا بها عندما حرقوا دارها وكسروا ضلعها، وفرّطوا بها عندما طلبوا إبعادها عن دور المدينة، وفرّطوا بها عندما طلبت منهم مناصرة أمير المؤمنين بإثبات حقه بالخلافة!!!.

ثالثاً: القوم يخافون من حجج الزهراء عليها السلام التي تلقيها على أسماع المسلمين.

هناك دلالة تشير الى إنّ أعداء أهل البيت كانوا يحاولون إخفاء ومنع أي صوت، او أية محاولة لكشف انحرافهم عن خط الرسالة المحمدي، ومهما كان هذا الصوت، حتى لو كان همساً، فكيف بصوت فاطمة الزهراء عليها السلام الذي ما فتأ يفضحهم ويبين للناس أين الصواب وأين الخطأ، وخصوصاً أن بيت الزهراء لا يبعد إلّا أشباراً عن مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومن المؤكد أن المسلمين كانوا عندما يحضرون الى المسجد وفي أوقات قبل الصلوات، ويبقون بعدها أيضاً والى أوقات متأخرة، أضف الى أنّ المسلمين كانوا يجتمعون في المسجد ويتباحثون في أمورهم وشؤونهم الحياتية المختلفة، ولذلك كانوا يسمعون كلام الزهراء، وكانت سلام الله عليها تتقصد من إسماع المسلمين الحاضرين في المسجد وبيان أخطاءهم التي وقعوا بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وبيان سبب الانحراف الرئيسي. وكانت سلام الله عليها بعصمتها العالية تخرج حزنها وتبث شكواها لفقد أبيها بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، لكشف الحق وبيان محل نصابه، وهذا هو الذي أرعب المنحرفين عن خط الرسالة الأصيل، وجعلهم يلتجؤون للتذرع بالحجج الواهية، واختلاق الأعذار الضعيفة، بحيث إنهم تذرعوا ببكاء الزهراء وأذيتهم

من هذا البكاء والعويل المزعوم، لأنّهم واقعاً لم يمتلكوا أية ذريعة يستطيعون من خلالها إسكات الزهراء عليها السلام وإبعادها إلّا بهذا العذر المختلق، وذلك لشدّة تأثير كلامها على المجتمع المسلم، وأذيتهم وامتعاضهم بسبب ذلك، ولم يتأذوا واقعاً من بكاء فاطمة الزهراء لأنه لم يكن له صوت مسموع ولا عويل مكروه.

وكيف لا يجن جنونهم، وكيف لم يكذبوا ويبالغوا في التكذيب، من أجل إيجاد العذر حتى أنّهم زينّوه في عيون العامّة، أو كما قيل كلمة حق يراد بها باطل، وخصوصاً إذا ما علمنا إنّ مسجد الرسول صلى الله عليه وآله كان يمثل الجهة الإعلامية الأولى للمسلمين، إذن والحال هذا كيف سيرضون ببقاء فاطمة الزهراء، وهي تقرع أسماع المسلمين في مسجد أبيها بأبلغ الحجج، وهم يعرفون جيداً ما تمثله سلام الله عليها من حب وتقدير من قبل أكثر المسلمين.

ولذلك بعثوا الى أمير المؤمنين علي عليه السلام في محاولة منهم بأنهم يشفقون على الزهراء عليها السلام من البكاء وشدّة أثره عليها، وكذلك من كثرة الشكاوى عليها، بسبب هذا البكاء والعويل. وهذا القول أبلغ عندهم في إسكاتها، كونهم اختاروا عذراً يمسهم الأذى فيه ظاهراً، إن لم يستمع له وينفذ. وهذا مما لا يرضي أمير المؤمنين ولا فاطمة الزهراء عليها السلام نفسها، مما أدّى بالإمام الى ان يبني بيت الأحزان لها.

والذي يثبت هذا الشيء بشكل أكثر وضوحاً، هو إقدامهم على قطع شجرة الأراك التي كانت تستظل تحتها الزهراء عليها السلام بالرغم من بعدها عن دورِهم، وحتى وإن بكت عليها السلام فحينئذ لن يسمع صوتها ونحيبها أهل المدينة، فلماذا اذاً أقدموا على قطعها؟!!!.

إلّا إذا أنّهم أحسوا بأنّها لازالت جهة إعلامية مؤثرة، تمارس من خلالها الزهراء دورها، وذلك لأنه من الممكن أن تأتي نساء الأنصار والمهاجرين وغيرهن، ويجلسن بالقرب من الشجرة ويسمعن ما كانت تقوله سلام الله عليها وهي جالسة تحت ظلها.

التدرج في سلب النعمة

بعد أن قطعوا تلك الشجرة اضطر أمير المؤمنين بأن يقوم ببناء بيت الأحزان، وبقيت الزهراء عليها السلام تدخل وتخرج منه هي والحسنان سلام الله عليهما، من دون أن يستطيع أحد من الدخول إليهم أوحتى من سماع صوتهم.

ويمكن لنا ان نستشف من ذلك كيفية التدرج في سلب النعمة من بين أيدينا في كل زمان ومكان، لأننا غير مستأهلين للعطايا الإلهية المقدسة ويمكن بيان هذا التدرج كما يلي:

١ – إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام واجهت في أول تحركها ضد الظلم مدعيّ الخلافة ظلماً وزوراً، وطالبت بحقها وحق زوجها أمير المؤمنين بأبلغ حجة وأسطع بيان، وكل المسلمون قد سمعوا ذلك، لكنهم لم يحركوا ساكناً، بالرغم من أن الزهراء عليها السلام قد خرجت مطالبة بحقها وحق الإمام بشكل واضح ومعلن.

وهي سلام الله عليها قد أدّت دورها أمام القوم بشكل كامل، وحتى لا تعطي عذراً لمن يريد أن يقول لو بيّنت لنا الزهراء الموقف الصحيح في ذلك الحين، أو في تلك المرحلة الحرجة من تأريخ المسلمين، لما وقعنا في المحذور بعد أن تركنا المشهور.

٢ – بعد أن تنازل المجتمع الإسلامي عن هذه الصرخة الإلهية المدوية في ديوان خلافة الظلم، انسحب هذا النور الزاهر من بين المسلمين لعدم الاستحقاق، بحيث جلست فاطمة الزهراء عليها السلام في دارها وهي مفارقة للمجتمع المسلم، بعد أن لم يكن مستحقاً لأن تقف علنا لنصرته، كالشمس المشرقة وهي تبدد الظلام تبديداً .

٣– لكن بالرغم من ذلك فلا زالت الفرصة مؤاتية لكشف ألاعيب الشيطان وتغيير التصور العام الذي انطلى على المسلمين رسمه، ولذلك أخذت سلام الله عليها تتكلم وهي في دارها، وتبين للمسلمين فداحة وخطورة

خطأهم، بارتكابهم لأقبح فعل بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وذلك بمخالفة وصيته الإلهية بحق أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن بالرغم من كل ذلك فلا أذن تسمع ولا قلب يعي ولا عين تبصر. وأخذوا بإعطاء الأعذار تلو الأعذار تبريراً لسوء فعلهم .

٤- واستمر سوء فعلهم في إبعاد فاطمة الزهراء عنهم شيئاً فشيئاً، وبدلاً من أن يصححوا أخطاءهم بالتغيير مع وجود الزهراء عليها السلام، أبعدوها عنهم وأخرجوها من دارها الى مكان بعيد عن بيوتهم، ولكن بالرغم من هذا الإبعاد، لازالت الرحمة الإلهية قريبة منهم، فهم وإن أبعدوها عن المدينة، لكن يمكن لهم رؤيتها وسماع صوتها الى أن قاموا بقطع الشجرة التي استظلت تحتها الزهراء عليها السلام، وهم بذلك قد ختموا سوء أفعالهم بفعل أقبح من سوابقه.

٥- الحجب الكامل عن رؤية فاطمة الزهراء عليها السلام، وسماع صوتها وقد تمثل في مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: مرحلة بناء بيت الأحزان، ولم يسمح لأحدٍ بدخوله، وبذلك انقطعت كلمات الزهراء في توجيه الأمّة الإسلامية بعد أن استحكمت الحجة عليهم، ولكنهم لم يرعوّها .

المرحلة الثانية: وهي اشدّ وقعاً وأمضى سناناً في قطع الوصول للزهراء عليها السلام، وذلك بمنع المسلمين من تشييعها، ومن ثم إخفاء قبرها الشريف عن المجتمع الإسلامي، وبذلك انقطع الأمل عن رؤية أي شاخص يدل عليها. فما أقبحها من أمّة وما أسوأ أفعالها، بحيث تنازلت وفرطت بأعظم عطية وهبة إلهية، أفاض الله تعالى بها عليهم، فلم يرضوا لرضاها ولم يغضبوا لغضبها، وهم بذلك قد أرضوا الشيطان وأغضبوا الرحمن، فيا ترى كيف سيكون الجزاء؟.

عرض قراءة أخرى
لمسألة منع الزهراء عليها السلام من البكاء

كانت نساء المهاجرين والأنصار، وحتى قسم من الرجال يحاولون زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام في دارها، وعيادتها في مرضها الذي كان سببه المباشر هو الهجوم على دارها والذي تسبب في كسر ضلعها[1]، وليجعلوا من زيارتهم تخفيفاً عمّا بدا منهم في عدم إنصافها وإنصاف أمير المؤمنين، فكانت سلام الله عليها تلقي عليهم باللائمة وتوبخهم أشد التوبيخ، مبيّنة لهم الحجج والأدلة الباهرة على أحقية علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة، وأنّه أولى بها من غيره، وتوضح لهم ما ستؤول إليه الأمور من الخسران وشدّة الفتن وتتابعها عليهم، وحينها لن يفيدهم الندم.

وبعد أن بدا لكثير منهم خطأ ما ارتكبوا في حق أهل البيت عليهم السلام وكثرت التساؤلات فيما بينهم، بسبب ما تقوله الزهراء عليها السلام من روعة البيان في الإدلاء بحجتها، خاف أصحاب السقيفة وحزبهم، بأن هذا الوضع لو استمر على ما هو عليه سوف يفسد الأمر عليهم، ولذلك طلبوا من علي بن أبي

---

(١) ينظر كتاب دفاع عن فاطمة الزهراء، للمؤلف، من أجل الإطلاع على المسألة بشكل تفصيلي.

طالب عليه السلام أن يسكت فاطمة الزهراء، وأن يمنعها من الكلام، وكانت حجتهم أمام الناس أنّ بكاءها يؤذيهم ويزعجهم.

والغريب في الأمر، إن أمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب ذلك من الزهراء عليها السلام، رفضت في بادى الأمر، كما جاء في الرواية: (قال أمير المؤمنين: يا بنت رسول الله إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما تبكين أباك ليلاً وإمّا نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن، ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً حتى ألحق بأبي رسول الله.

فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك)[1].

ولكن الظاهر أن القوم قد هددوا أمير المؤمنين، إن لم يجد وسيلة لإسكات فاطمة الزهراء، فسيقومون بمنعها بوسائل أخرى، قد يكون من أبسطها فرض الإقامة الجبرية عليها، كما يطلق عليها في المصطلحات السياسية الحديثة، وأن يمنعوا المسلمين من الدخول عليها، ولكن لصعوبة الوضع كون غرفتها ودارها في نفس المسجد النبوي حينها سيكون من الصعب عليهم تنفيذ هذا الأمر. ولذلك كان من الأسهل لهم أن ينفوا الزهراء عليها السلام الى مقبرة

---

(١) بضعة المصطفى، مصدر سابق: ص٣٥٥.

عرض قراءة أخرى

لمسألة منع الزهراء عليها السلام من البكاء

كانت نساء المهاجرين والأنصار، وحتى قسم من الرجال يحاولون زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام في دارها، وعيادتها في مرضها الذي كان سببه المباشر هو الهجوم على دارها والذي تسبب في كسر ضلعها[1]، وليجعلوا من زيارتهم تخفيفاً عمّا بدا منهم في عدم إنصافها وإنصاف أمير المؤمنين، فكانت سلام الله عليها تلقي عليهم باللائمة وتوبخهم أشد التوبيخ، مبيّنة لهم الحجج والأدلة الباهرة على أحقية علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة، وأنّه أولى بها من غيره، وتوضح لهم ما ستؤول إليه الأمور من الخسران وشدّة الفتن وتتابعها عليهم، وحينها لن يفيدهم الندم.

وبعد أن بدا لكثير منهم خطأ ما ارتكبوا في حق أهل البيت عليهم السلام وكثرت التساؤلات فيما بينهم، بسبب ما تقوله الزهراء عليها السلام من روعة البيان في الإدلاء بحجتها، خاف أصحاب السقيفة وحزبهم، بأن هذا الوضع لو استمر على ما هو عليه سوف يفسد الأمر عليهم، ولذلك طلبوا من علي بن أبي

---

(١) ينظر كتاب دفاع عن فاطمة الزهراء، للمؤلف، من أجل الإطلاع على المسألة بشكل تفصيلي.

طالب عليه السلام أن يسكت فاطمة الزهراء، وأن يمنعها من الكلام، وكانت حجتهم أمام الناس أنّ بكاءها يؤذيهم ويزعجهم.

والغريب في الأمر، إن أمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب ذلك من الزهراء عليها السلام، رفضت في بادى الأمر، كما جاء في الرواية: (قال أمير المؤمنين: يا بنت رسول الله إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما تبكين أباك ليلاً وإمّا نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن، ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً حتى ألحق بأبي رسول الله.

فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك)[1].

ولكن الظاهر أن القوم قد هددوا أمير المؤمنين، إن لم يجد وسيلة لإسكات فاطمة الزهراء، فسيقومون بمنعها بوسائل أخرى، قد يكون من أبسطها فرض الإقامة الجبرية عليها، كما يطلق عليها في المصطلحات السياسية الحديثة، وأن يمنعوا المسلمين من الدخول عليها، ولكن لصعوبة الوضع كون غرفتها ودارها في نفس المسجد النبوي حينها سيكون من الصعب عليهم تنفيذ هذا الأمر. ولذلك كان من الأسهل لهم أن ينفوا الزهراء عليها السلام الى مقبرة

---

(١) بضعة المصطفى، مصدر سابق: ص٣٥٥.

البقيع، ليبعدوها عن المسجد وعن المصلين، ويمنعوا الناس من الوصول إليها، وبعد أن أخرجوها من دارها عنوة، كانت تستظل تحت شجرة الأراك، الى أن يحين المساء يأتيها الإمام علي عليه السلام لتعود معه الى الدار مع الحسنين سلام الله عليهما، ولكن الظاهر أن النساء كانت إذا مرت بالبقيع ويرن الزهراء يأتين لزيارتها.

وبقيت سلام الله عليها تدلي بحججها وهي في ذلك المكان، ولذلك أقدم القوم على قطع هذه الشجرة، لكي لا تستظل بظلها ويتجمعن النسوة حولها، وحينئذ ما كان أمام أمير المؤمنين إلّا أن يقوم ببناء بيتاً لها سمّاه (بيت الأحزان)، ليكون محّلاً للمنفى وللإقامة الجبرية لفاطمة الزهراء عليها السلام.

وهو فعلاً أسم على مسمى، فقد اجتمعت بين جدرانه كل مصائب الزهراء عليها السلام، ليشتعل وجدانها وقلبها وروحها بنار الأحزان وشدّة لهيبها، فمن مصيبة فقد أباها رسول الله صلى الله عليه وآله، ومصيبة التجاوز على حرمة أهل بيت الرسالة والهجوم على دارها، ومن ثم كسر ضلعها، ناهيك عن سلب الخلافة من علي عليه السلام ثم تهديده بالقتل، فضلاً عن مصيبة سلب فدك، مضافاً الى مصيبة تحمل جهل المجتمع بهم وبمقاماتهم وبحقوقهم، الى مصيبة الإقامة الجبرية وعزل الناس عنها.

كل هذه المصائب طوتها الزهراء عليها السلام في تلك اللحظات المؤلمة من الزمن، والتي جعلت الزهراء وأمير المؤمنين غرباء في ذلك المجتمع، الذي لازال أغلبه بدائياً في إيمانه وسلوكه، الذي يتعامل به مع أهل البيت، فكان قاسياً ظالماً مع ريحانة وعطر الوجود، ليذيقها المرّ والحنظل، وإن كانت أيامها قليلة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ومكثها بينهم لن يطول، وما أسرع غياب نورها وخيرها وبركاتها عنهم، فبئس ما صنعوا ويا خيبة ما أقدموا عليه.

١- **القرآن الكريم.**

٢- **الأمالي**، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى ابن بابويه القمّي، ت ٣٨١هـ، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ.

٣- **الإحتجاج**: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، نشر مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت ط١، بدون سنة طبع.

٤- **أبو ذر الغفاري**، الشيخ محمد جواد آل فقيه، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥- **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٦- **الإختلاف في الثقافة العربية الإسلامية**، آمال قرامي، نشر دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٧- **الأسرار الفاطمية**، محمد فاضل المسعودي، نشر مؤسسة الأنوار الفاطمية، قم، ط٤، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.

٨- **إصلاح النفس**، ابحاث السيد كمال الحيدري، بقلم طلال الحسن، نشر مؤسسة الجواد للفكر والثقافة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م.

٩- **بضعة المصطفى**، السيد مرتضى الرضوي، نشر مؤسسة السبطين العالمية، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٠- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، العلم العلّامة الحجّة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره، نشر دار الأميرة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.

١١- **تفسير نور الثقلين**، للمحدث الجليل العلّامة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢- **تفسير الكشاف**، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣- **تفسير القمّي**، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي من أعلام القرن الثالث، مراجعة وتحقيق الشيخ الصالحي، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٤- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤- ٦٠٤هـ)، قدّم له هاني الحاج، حققه وعلّق عليه وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون سنة طبع.

١٥- **تفسير التحرير والتنوير**، المعروف بتفسير ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، بدون سنة طبع.

١٦- **التجديد في تفسير القرآن المجيد**، الشيخ علي عبد الرزاق مجيد مرزة، نشر المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٧- **حياة الإمام الحسن بن علي**، باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٨- **حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء**، باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، نشر دار الذخائر الإسلامية، قم، ط٦، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٩- **حقوق المرأة في النظام الإسلامي**، الشهيد مرتضى مطهري، ترجمة حيدر آل حيدر، نشر الدار الإسلامية، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٠- **خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة**، آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، نشر هيئة تراث السيد الشهيد، النجف الأشرف، بيروت، ط١، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ.

٢١- **دفاع عن فاطمة الزهراء**، علي الزيدي، نشر جيكور، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠)، تحقيق محمد أحمد الآمد، عمر عبد السلام، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٣- **الزهراء فاطمة بنت محمد**، تأليف عبد الله منصور القطيفي، نشر دار الأنصار، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٤- **عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال**، للمحدث الكبير الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني، نشر وتحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط٣، ١٤١٦م.

٢٥- **عيون مسائل النفس وسرح العيون في شرح العيون**، آية الله حسن حسن زاده آملي، الناشر مؤسسة انتشارات أمير، طهران.

٢٦- **فاطمة الزهراء من قبل الميلاد حتى ما بعد الإستشهاد**، تأليف عبد الله عبد العزيز الهاشمي، نشر دار الأندلس، بيروت، بدون سنة طبع.

٢٧- **فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد**، السيد محمد كاظم القزويني قدس سره، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨- **الفرقان في تفسير القرآن**، الشيخ الدكتور محمد الصادقي، نشر دار شكران للتراث الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٩- **فرائد السمطين**، إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخراساني (٦٤٤ - ٧٣٠هـ) حققه وقدم له العلّامة الدكتور عبد المحسن عبد الله السرادي والشيخ محمد صادق تاج، نشر دار الجوادين، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٠- **فضائل الخمسة من الصحاح الستة**، السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، تحقيق المجمع العلمي لأهل البيت، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ.

٣١- **كتاب العين**، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ) نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٢- **الكليات**، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، نشر ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٣٣هـ.

٣٣- **كلمة فاطمة الزهراء**، السيد حسن الشيرازي، نشر دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٤- **اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء**، تأليف المولى محمد بن علي بن أحمد القراچة داغي التبريزي الأنصاري (ت١٣١٠هـ)، تحقيق سيد هاشم الميلاني، قم، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٥- **لسان العرب**، للعلّامة ابن منظور، مراجعة وتصحيح نخبة من الأساتذة المتخصصين، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٦- **موسوعة العتبات المقدسة**، جعفر الخليلي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٣٧- **مباهج الفلسفة**، تأليف ول ديورانت، تقديم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الإهواني، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.

٣٨- **مدخل علم النفس**، لندال. دافيدوف، نشر الدار الدولية، الرياض، ط٤، بدون سنة طبع.

٣٩- **مقاتل الطالبين**، أبي فرج الأصفهاني (٢٨٤ – ٣٥٦هـ) شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٠- **ميزان الحكمة**، محمد الريشهري، الناشر دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤١- **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٢- **مواعظ ولقاءات**، آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، نشر هيئة التراث السيد الشهيد الصدر قدس سره، النجف الأشرف، بيروت، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ.

٤٣- **الميزان في تفسير القرآن**، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٤- **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس، وقف على تصحيحه وتحقيقه وتعليق عليه الفاضل الحاج السيد هاشم الرسولي المحللاتي، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٥- **نهج البلاغة**، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، نشر أنوار الهدى، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٦- **نهج البلاغة**، تعليق آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، اعداد الاستاذ عبد الحسين دهيني، نشر دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٧- **النظرية الحقوقية في الإسلام**، آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة خليل عصامي الجليحاوي، نشر دار الولاء، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٨- **الوراثة الإصطفائية لفاطمة الزهراء**، تقريراً لأبحاث المحقق آية الله الشيخ محمد السند، بقلم السيد محمد صالح الموسوي التبريزي، نشر دار الأميرة، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

الإهداء.....٣

المقدمة.....٧

لماذا خفي قبر فاطمة الزهراء عليها السلام
١٣ - ٦٢

الاطروحتان اللتان بيّنهما السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره حول خفاء القبر.....١٧

تعليقات وتوضيحات حول هاتين الأطروحتين.....٢٢

أسباب أخرى حول خفاء القبر الشريف.....٣٧

ما علاقة خفاء قبر الزهراء عليها السلام بغيبة الإمام المهدي سلام الله عليه؟.....٥٩

ماذا يمكن أن نفهم من كنية أمّ أبيها؟
٦٣ - ١٠٢

الأمور المتعلقة بهذه الكنية المباركة.....٧١

بعض الآراء التي حاولت بيان معنى أم أبيها.....٧٩

أسباب أخرى محتملة حول هذه الكنية المباركة.....٨٥

ماذا قدمت فاطمة الزهراء لتكون أمّاً لأبيها قبال أمومة أم موسى وأم عيسى؟.....٩٩

سيدة نساء العالمين تساؤلات وفوائد
١٠٣ - ١٨٦

تفسير العالمين.....١١١

معنى الإصطفاء ودلالاته.....١٢٤

الدلالات المستحصلة من هذا القول.....١٣٤

ما هي الفوائد المترتبة من قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء بأنّها سيدة نساء العالمين؟.....١٤٠

كيف نعالج الروايات التي ورد فيها ذم النساء.....١٥٦

الإختلاف الوظيفي بين المرأة والرجل واقعي أم سياق إجتماعي.....١٥٧

بكاء فاطمة الزهراء
صراخ وعويل أم دموع وبيان؟
١٨٧ - ٢٤٦

نموذج من الروايات حول بكاء فاطمة الزهراء عليها السلام.....١٩١

رأي الشيخ محمد السند في هذا الموضوع.....١٩٨

الإشكالات والتعليقات على الروايات.....٢١١

أولاً: فاطمة الزهراء عليها السلام لا تؤذي الآخرين.....٢١١

ثانياً: فاطمة الزهراء كانت تقوم بفعلين: البكاء والدفاع عن أمير المؤمنين.....٢١٨

ثالثاً: القوم يخافون من حجج الزهراء عليها السلام التي تلقيها على أسماع المسلمين.....٢٣٧

التدرج في سلب النعمة.....٢٣٩

عرض قراءة أخرى لمسألة منع الزهراء عليها السلام من البكاء.....٢٤٣

المصادر والمراجع.....٢٤٧

الفهارس.....٢٥٥

١ - لماذا السيد مقتدى الصدر قائداً .

٢- السيد مقتدى الصدر والمخلصون .

٣- لماذا المسير الى مرقد السيد الشهيد محمد الصدر .

٤- أسئلة معاصرة حول الإمام المهدي (عج) .

٥- بحوث جديدة حول الإمام المهدي (عج) .

٦- القول النَضرْ في الدفاع عن الشهيد الصدر .

٧- مقتدى الصدر قيادة فوق الشبهات .

٨- شهيدٌ بلا حجاب .

٩- إشراقات في الدفاع عن المعصومين .

١٠- الرد الهام على كتاب شكوى الإمام .

١١- دفاع عن فاطمة الزهراء .

١٢- مقالات ودفع إشكالات .

١٣- من وحي الإصلاح .

١٤- خيبر في التأريخ .

١٥- إفهام الأنام ماهية غفلة الإمام .

١٦- محمد الصدر قدس سره بين الولاية العامة وسياسة السلطة.

١٧- أصحاب القضية وهمٌ وبطلان.

١٨- مفاهيم عصرية عن فاطمة الزهراء عليها السلام.